جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة : فلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي فلسفة عامة

ميدان : العلوم الاجتماعية

تخصص فلسفة عامة

اعداد الطالبة : بن جدية امال

الموضوع:

الرد على المستشرقين في مسألة تدوين القرآن وحروفه السبع

أحمد زيغمي	مشرف
محمد صديق بن غزالة	رئيس
عمر برابح	مناقش

السنة الجامعية :
2020/2021

الإهداء:

لمن كانت لي السند والمعتمد ولمصدر الامان والاطمئنان لأمي الغالية ادامها الله علينا نعمة ونورا يضيء حياتنا، ولمن جعلني أميرة وحقق احلامي أبي أدامه الله تاجاً فوق رأسي، لكل من أحب قلبي، وعشقت روحي، لكل من كانت له بصمة في حياتي، لكل من دعا لي في ظهر الغيب دعاء طيباً، لكل من أحبني لسبب أو بدون سبب.

أهدي جهدي لكل صديقاتي لكل حبيباتي ولكل رفيقاتي في الدراسة أو خارجها أهدي هذا العمل لمن سخروا أوقاتهم لتحفيظ كلام الله ولمن جمعتني بهم أحلى الأوقات، لكل مريدي الجمعية القرآنية، لكل تلاميذها الذين أخذوا بي نصائحي و تعليماتي.

لكل عائلتي الكبيرة لجدتي بدرة وجدتي فطوم ولكل أخوالي وخالاتي، أعمامي وعماتي، لكل قريب وبعيد ولكل طفل في العائلة

لكل من ساعدني ووقف بجانبي في أوقاتي العصيبة، لكل أخواتي كل واحدة باسمها وإخوتي محمد ياسر ومحمود أيمن كما لا أنسى أخي الحبيب توأم روحي العلمي أدامه الله أخاً طيباً حنونًا.

لكل من جمعتني بهم أيام جميلة في الجامعة، لكل الزميلات في الدفعة كلا باسمها، لكل صديقاتي اللاتي جمعتني بهم الأيام فتحولت صداقتنا إلى أكثر من ذلك. الى حبيبتي " هيدب جميلة "رفيقة دربي وصديقة طفولتي الى عتيقة ومسعودة ولكل من هو في قلبي ولم يذكره لساني لكل الجيران الذين ساعدوني "لعائشة بن حيلة جدتها وامها فاطمة"

لتكون باقي الكلمات والاهداءات لكي يا رفيقة الحياة، يامن دخلتي حياتي بدون مقدمات يامن لكي قدمت قلبي بدون ترددات يامن اعتبرتني أختاً فلكي قدمت ذلك يا اعز الاخوات،"مخلوفي صونيا"

آمال بن جدية

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الى يوم الدين

الحمد والشكر لله أولا وآخر ظاهراً وباطناً بيده الخير إنه على كل شيء قدير فهو ولي التوفيق وهو المستعان، أما بعد فإنني أتقدم بجزيل الشكر لكل من علمني حرفا، وأنار دربي بفكرة، الشكر الموصول لكل أساتذتي الكرام من أول معلم بالمدرسة الابتدائية إلى أساتذة الجامعة كون كل واحد منهم ترك بصمة في نفسي كتلميذة وطالبة وترك آثاراً ستبقى خالدة في نفسي ما حييت.

الشكر الموصول لأساتذة الفلسفة في جامعة قاصدي مرباح ورقلة، أشكر الأستاذ المشرف أحمد زيغمي على إرشاداته لنا ومعلوماته القيمة، كما أشكر الأستاذ برابح عمر الذي ساعدني في تخطي العديد من المصاعب في التسجيلات كما أشكره على حسن معاملته لنا، أشكر الأستاذ كراش إبراهيم على تحفيزه لنا بأسلوبه الرائع في المحاضرات، كما أخص بالذكر كل من الأستاذ بن قويدر والاستاذ طاهير ،والأستاذة لعموري ،ولن انسى من تعلمنا على يديه الكثير الأستاذ سعد الله ،وباقي الأساتذة وباقي الأساتذة.

وأشكر في الأخير كل من ساعدني في حياتي اليومية والدراسة.

مقدمة

يعتبر تدوين القرآن من المسائل التي حازت على مكانة بالغة الأهمية وتكمن أهميته في كونه يتعلق بكتاب يعد منهاج ومصدر شريعة للمسلمين.

فقد توالت البحوث والدراسات في الموضوع وتعدد الدارسون فيه منذ زمن بعيد لذلك يمكننا القول بأن اهتمامات مفكري الغرب ليست جديدة الطرح فهذا الموضوع يعود في حقيقة الأمر للبدايات الأولى التي احتك فيها المسلمون بالغرب فما كان على الغرب إلا التوجه لدراسة الإسلام لاكتشاف معالمه ولم يكن هذا الأمر ممكناً إلا باكتشاف كتابه فكانت أول الدراسات في الكتاب هي تلك التي قام بها رجال الدين، لتتوالى الدراسات فيما بعد حول القرآن الكريم وتتعدد ترجماته.

واتجهت فئة من الباحثين الغربيين في دراستهم للقرآن وللظروف المحيطة به، واهتموا بدراسة وتحليل مراحل جمعه وتدوينه، فنتج عن ذلك مجموعة من الآراء عند البعض تؤكد بأن القرآن ما هو إلا مجموعة نصوص تم تأليفها في زمن معين وظروف معينة، ومن ثم فإنهم يميلون إلى القول بأن تأليف القرآن تم بالاعتماد على مصادر أخرى.

وقد طرأت عليه بعض التغيرات في مختلف المراحل التي مر بها فأثر ذلك نصوصه وأدخل عليها ما لم يكن متضمناً فيها.

ومن هنا نشأت رغبتي في دراسة هذا الموضوع عن حقيقة هذه الآراء خاصةً وأنها أثرت في الكثير من الأشخاص في العالمين الغربي والعربي، فأثمرت نفور غير المسلمين من الإسلام، وتشكيك بعض الباحثين المسلمين في مصداقية النصوص القرآنية، أمثال الباحث الجزائري محمد اركون، والباحث المصري، وغيرهم كثير

ومن أجل الكشف عن هذه الآراء تحددت الإشكالية كالتالي.

1. هل القرآن المدون كلام الله أم أنه تأليف بشر؟
2. هل القرآن المدون في المصحف العثماني هو نفسه القرآن الذي جاء به النبي محمد؟

وللإجابة عن الإشكالية تم رسم الخطة بما يلي:

وضع مقدمة وثلاث فصول وخاتمة للبحث، أول هذه الفصول يتكون من أربع مباحث جاء تحت عنوان المستشرقون والقرآن، المبحث الأول عبارة عن مفهوم للاستشراق وأهدافه أما ثاني المباحث يوضح العلاقة بين المستشرقين ومدون القرآن والثالث يوضح فكرة الوحي من منظور الاستشراق ليكون رابع المباحث وآخرها في هذا الفصل عن مراحل جمع القرآن وموقف الاستشراق منها، ليأتي الفصل الثاني بعنوان المستشرقون ودلائل تحريف القرآن ويحتوي هذا الفصل كذلك على أربع مباحث، الأول يتحدث عن الزيادة والنقصان في القرآن والثاني يتضمن ترتيب السور والآيات أما الثالث فخصص للقراءات القرآنية ليكون الرابع في الألفاظ والتصورات غير العربية في القرآن، بعد انتهاء الفصل الثاني يأتي الفصل الثالث والأخير وقد جاء بعنوان آراء المستشرقون مناقشات وردود وهو عبارة عن رد لآراء المستشرقين تكون مكونة من ثلاث مباحث الأول تحت عنوان القرآن وحي الله اختص في إثبات النبوة والوحي وثانيها جاء كرد عن مسألة مراحل الجمع وما انبثق عنها من آراء في الزيادة والنقصان والقراءات القرآنية وغيرها لنصل للمبحث الثالث والذي تمثل في نقد منهج المستشرقين وطريقتهم في دراسة القرآن ،وتليه خاتمة عبارة عن استنتاج عام للبحث ، وفي سير هذه الخطة اتبعت المنهج التحليلي كونه أكثر المناهج المساعدة في تبسيط الأفكار وتوضيحها وقد اعتمدته في تحليل آراء المستشرقين ومواقفهم كما أنني اعتمدت على المنهج النقدي وقد برز هذا المنهج في الفصل الثالث وتمثل في الردود على تلك الآراء، ونقد لمنهج وطريقة المستشرقون في دراسة القرآن، كما كان هناك استخدام بسيط للمنهج الوصفي ولم يظهر إلا في توضيح علاقة المستشرقين بالقرآن.

إن هذا الموضوع الذي بين أيدينا ليس موضوعا وليد اللحظة بل هو قديم بقدم مادته وقد تعددت الدراسات حوله واختلفت الذوات في طرحه بين مسلم منحاز لدينه وأخر تأثر بغيره، وبين هذا وذاك تعددت الدراسات واختلفت التوجهات، و من بين الدراسات التي اعتنت بهذا الموضوع نجد بحث لأدى مشرفة زهرة تحت عنوان جمع القرآن عند المستشرقين، وهي عبارة عن بحث مقدم لنيل الدرجة الجامعية الأولى في جامعة شريف هداية الله الإسلامية جاكرتا ، سنة 2016 ،كما هناك دراسة محمد السيد راضي جبريل بعنوان مصدر القرآن الكريم في رأي المستشرقين

،كتاب المستشرقون والقرآن الكريم لمحمد أمين حسن محمد بني عامر ،وكتاب الاستشراق والتبشير محمد السيد الجليند ، نجد أن كل هذه الكتابات قد اهتمت بهذا الموضوع ،إلا أن طرح كل باحث مختلف عن الآخر فكل واحد منهم تناول الموضوع من زاوية معينة ،كما اتخذته أنا من زاوية رأيت أنها الزاوية المناسبة لفهم المصادر التي استقت منها هذه الفئة من المستشرقين آرائهم .

وقد حاولت طرح هذا الموضوع بشكل آخر يكون أكثر تسلسلا حيث تتضح الفكرة الأساسية التي برزت من خلالها باقي الآراء وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر كان من بينها كتاب تاريخ القرآن للمستشرق تيودور نولدكه الذي يعد من أبرز المؤلفات التي تطرقت لمسألة الجمع والتدوين ونشأة النصوص القرآنية وهناك كتاب القرآن بلاشير وكتاب هنري ماسيه الإسلام وقد تكلم فيه عن موضوع تدوين القرآن وجمعه وتكلم عن فكرة الوحي أيضا وهناك مجموعة أخرى ككتاب تطور القرآن التاريخي لكانون سية ،وكتاب رودي باريت الذي اعتمدته في الكشف عن رأيه في مصادر القرآن ،كما استفدت من مجموعة الكتب الإسلامية الإتقان للسيوطي ،وكتاب سلسلة الأحاديث الصحيحة ، وفتح الباري ، وقد استخدمت مجموعة الأحاديث المتضمنة فيها في الرد على آراء المستشرقين و الاستدلال بها .

لقد واجهتني مجموعة من الصعوبات في أثناء قيامي بهذا البحث لعل أبرزها توسع الموضوع وترابط أجزاءه وتداخلها، وهذا ما جعل الإلمام بجميع أجزائه أمر في غاية الصعوبة.

كما استصعب إيجاد المصادر الخاصة بالموضوع في المكتبات، وهذا ما جعلني أتعامل مع النسخ الإلكترونية، الأمر الذي أرهقني هو الآخر.

الفصل الأول:

المستشرقون والقرآن

المبحث الأول: الاستشراق والمستشرقون:

مفهوم الاستشراق:

إن الاستشراق لفظ يراد بمعناه التوجه نحو الشرق جاء للدلالة على تيار فكري يمثله مفكري الغرب ويعنى هذا الأخير بدراسة كل ما يتعلق بدراسة عالم الشرق بصفة عامة ودراسة علومه ومعارفه واللغات والديانات بل حتى خصائص المجتمعات فيه، أما بشكل خاص فقد اهتم بدراسة العالم الإسلامي وقد تجسد اهتمامه من خلال ترجمة الكتب ودراسة اللغة العربية وخصائصها وبحوثهم المتعددة في السيرة والروايات، وترجمة القرآن والاهتمام بكل ما يتعلق به خاصة مراحل جمعه وتدوينه

ولقد كان لهذه الفئة من المفكرين الغربيين اهتمام مشترك لدراسة الاسلامي الا ان اهدافهم مختلفة نوعا ما، فهناك من هو راغب في اكتشاف ومعرفة الشرق وهناك من له مآرب أخرى.

هذا ما نجده واضحا في للمفاهيم التي وضعها ادوارد سعيد ذلك المفكر الفلسطيني الذي كانت له العديد من البحوث والمؤلفات في هذا المجال، فقد أعطى هذا الأخير ثلاثة مفاهيم أساسية وإن بدت لنا متشابهة ظاهريا فهي تشترك في تعريف الاستشراق إلا أنها في الحقيقة ترمي لمعاني مختلفة وتوجهات متعددة:

أول هذه المفاهيم يوضح بأن الاستشراق مبحث أكاديمي وبالتالي فإن المستشرق هو كل من يعمل على التدريس والكتابة والبحث في الموضوعات التي تخص الشرق في مختلف المجالات.

والثاني يوضح بأنه أسلوب تفكير يقوم على التمييز بين الشرق والغرب.

أما ثالث المفاهيم فهو يبين بأن الاستشراق عبارة عن مؤسسة جماعية تعنى بدراسة وتدريس الشرق للهيمنة والتسلط عليه [1]

إذا أردنا التوصل المقاصد إدوارد سعيد التي رمى إليها في المفاهيم الثلاثة يجب اولا ان نذكر دوافع الاستشراق والمتمثلة في ثلاث دوافع رئيسية: أولها: التبشير فقد كانت أول بدايات الاستشراق مرتبطة به، وثاني الدوافع تمثل في حركات الاستعمار، أما ثالثها فهو دافع مختلف نوعا ما ، فهو مرتبط بالبحث عن المعارف والعلوم في الشرق

من خلال ذكر هذا نكتشف مقاصد إدوارد سعيد التي رمى إليها في التعريفات الثلاث، فأول التعريفات يرتبط بالدافع العلمي وهو رغبة الباحث الغربي في اكتشاف غيرة، أما التعريف الثاني، والذي يوضح بأن الاستشراق هو أسلوب تفسير يميز بين الشرق والغرب، فنجد أنه مرتبط بالتبشير، ليكون المفهوم الثالث والذي يذكر بأن الاستشراق أسلوب غربي للسيطرة على الشرق فإنه مرتبط بالهدف الاستعماري.

ومن خلال هذا الترابط بين المفاهيم والدوافع نصل إلى نتيجة مفادها أن هذه الدوافع مترابطة وخادمة لبعضها، كما أنها متسلسلة لان لدافع لا يقوم إلا بالاعتماد على ما سبقه من دوافع، والمستشرق الدارس للشرق لا ينطلق في دراسته من لا شيء، فهو بالتأكيد يرسي قواعد انطلاقا من نتائج غيره وإن لم تكن تطبيقاً حرفياً لدراسات سابقيه فإنها بالتأكيد لا تختلف كثيرا عنها يقول رودي باريت في ذلك (فإن كل شيء في حركة متصلة كل عالم يكمل البناء على أساس إرسائه آخرين سبقوه ....وعلم الاستشراق كما هو بين أيدينا اليوم نتيجة أجيال عديدة من العلماء[2] (إن هذا القول يؤكد بأن الدوافع التبشيرية هي التي كانت المنطلق الأول والأساسي وقد ظلت متجسدة في الدافع الاستعماري ،حيث اعتمدت الدول الاستعمارية (فرنسا وبريطانيا) على سياسة التبشير والتنصير في

[1] إدوارد سعيد ،الاستشراق، تر:محمد عناني ،رؤية للنشر والتوزيع ،ط1،س:2006،صص:4544،بتصرف.
[2] رودي بارت، الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، د ط، 2011، ص 14.

مستعمراتها ،كما لا يخلو الهدف العلمي من نظرة الكنيسة ورجال الدين للإسلام والقرآن ،وإن لم يكن كل المستشرقين لهم نظرة ناقدة للإسلام ،فإن هناك فئة لم تتصف دراساتهم بالموضوعية .

مستشرقون درسوا الإسلام والقرآن:

أولا: تيودور نولدكه: ولد في 2 مارس 1836 بمدينة "هامبورج " وتوفي في 25 ديسمبر 1930 بمدينة "كارلسروه" عاش حياة مليئة بالإنجاز العلمي والنشاط الكبير، ألم بمبادئ اللغة العبرية، ودرس العربية والسريانية والسنسكريتية والفارسية والتركية الأرامية الخاصة بالكتاب المقدس، ودرس سائر لهجاتها فيما بعد وتعمق في العبرية.

حصل على الدكتوراه في العشرين من عمره، عام 1856 عمل أمينا مساعدا لمكتبة جوتنجن، ثم عين معيدا بجامعة جوتنجن حيث درس تفسير سفر" أشيعا " والنحو العربي.

ومن أهم أعماله: "أبحاث لمعرفة شعر العرب القدماء"و "قواعد العربية الفصحى " وبحث بعنوان "هل كان لمحمد معلمون نصارى ؟ " وغيرها من الأعمال. [3]

ثانيا: ريجي بلاشير: ولد في 30 جوان 1900 في ضاحية مونروج " باريس " وتوفي في أوت 1973 ، سافر في طفولته مع أبويه الى المغرب في 1910، وتحصل على الليسانس من جامعة الجزائر سنة 1922.

ترجم القرآن إلى اللغة الفرنسية مع مقدمة طويلة وتعتبر قصيرة وقد رتب القرآن في هذه الترجمة وفقا لما ظنه ترتيب نزول السور والآيات وفي طبعة أخرى عامة واسعة الانتشار 1957 عاد الى الترتيب الأصلي الوارد في المصحف، ظهر الجزء الأول في 1949 والثاني 1950 [4]

[3] رضا محمد الدقيقي، الوحي إلى محمد بين الإنكار والتفسير النفسي، دار الميمان، قطر، ط1، 2009، ص 19 ص.20.
[4] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993، ص 127.

ثالثا : رودي باريت :مستشرق ألماني ، ولد في 3 أبريل سنة 1901 في الغابة السوداء جنوب ألمانيا ، ينتمي لأسرة يكثر فيها القساوسة والمسيحيون ، تتلمذ في الدراسات العربية على يد انو لتمن فتحصل على الدكتوراه الأولى ثم على دكتوراه التأهيل للتدريس في الجامعة ،عين مدرس مساعد في قسم الدراسات الشرقية في جامعة توبنجن ،وشغل كرسي علوم الإسلام و اللسانيات في جامعة بون ،وعين أستاذ لسانيات والاسلاميات في جامعة توبنجن بعدما انخرط في خدمة الجيش ،وقد ترجم باريت القرآن إلى الألمانية مع شرح فيلولوجي ،وفق الترتيب العثماني المتعارف عليه بين المسلمين ،وتوفي في 31 جانفي 1983 [5] .

رابعا: هنري ماسيه: مستشرق فرنسي متخصص في الفارسية، ولد في 1886، وتوفي في 9 نوفمبر 1969 وتعلم في مدرسة الوطنية للغات الشرقية حيث حصل على دبلوم في العربية والفارسية والتركية، كما حضر محاضرات في مدرسة الكلية للدراسات العليا.وسافر إلى مصر حيث التحق عضوا بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، وهناك اهتم بالنصوص العربية، فحقق كتاب "فتوح مصر " وكتاب "تاريخ مصر "وظهرت نشرته في 1919 .

وفي نفس السنة نشر رسالته الكبرى للحصول على الدكتوراه بعنوان "بحث في سعدي الشاعر "، دعى بعد ذلك ليكون أستاذا في كلية الآداب بالجزائر، فقام بتدريس اللغة العربية والفارسية وكلف باللقاء المحاضرات عن علم الاجتماع الإسلامي، كما شغل وظائف أخرى، ويتوزع إنتاج ماسيه بين الدراسات العربية والفارسية. [6]

خامسا: جولد تسهير: ولد في 22 جوان 1850 بمدينة اشتولقيسنبرج في بلاد المجر، وتوفي في 13 نوفمبر 1921 بمدينة بودابست ينتمي لأسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير. [7]

---

[5] نفس المرجع، ص 62.

[6] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص: 536

[7] نفس المرجع، ص ص: 197 198

درس الثانوية العامة في مدينته الأم وتلقى إلى جانبها ثقافة تلمودية، كان جولد تسهير الشاب أول تلميذ لهرمان بامبورج الذي استدعي في العام 1865 بجامعة بودابست، وتلقى جولد تسهير الفارسية والتركية على يديه دون أن يحثه أحد على ذلك، علما أن اهتماماته كانت منصبة على الموضوعات اليهودية بشكل رئيس.

لقد كمنت قوته في تخصصه العلمي. كذلك فإنه في محاضراته حول الإسلام لم يقدم عرضا تلقائيا. بل توخى من إهمال التاريخ السياسي معالجة أهم الجوانب في تطور التاريخي الديني. [8]

المبحث الثاني: علاقة المستشرقين بالمدونة

إذا بحثنا عن علاقة المستشرقون بالمدونة القرآنية والنصوص القرآنية نجدها لا تختلف عن علاقة القارئ الغربي بنصوصه الدينية بعد أن جردها من قدسيتها المستشرق يخضع النص القرآني للبحث والتحليل والنقد أيضا باعتباره نصا تاريخيا لا نصا دينيا موحى به فإذا كان الغربي أهمل دور المؤلف وأعلن موت الإله ليصبح القارئ سيد الموقف وصاحب السلطة فتتولد قراءته وفهمه لنصوص جديدة نجد محمد عمارة يقول)في هذه الوضعية النص الديني التوراة وعاملتها كما تعامل النصوص الأدبية والفنية وأعدت إنتاجها بالتأويل الرمزي والإشاري عندما أحلت القارئ محل المؤلف لقد انسنت الفلسفة ([9]

المستشرق لا يختلف عن القارئ هنا وهذا ما نجده واضحا عنده خاصة عندما يعلن إعادة ترتيب السور والآيات حسب زمن وأسباب نزولها أو عندما يعلن أن بعض السور والآيات قد أضيفت للنص في زمن لاحق كما أنه لا يختلف عن القارئ الغربي في تحرير النصوص من مصدرها الإلهي ،ينفي المستشرق بذلك الوحي ليصبح القرآن من تأليف النبي محمد.

[8] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، تر: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، ط :2، 2001، ص، ص: 237 .238

[9] محمد عمارة، قراءة النص الديني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط:1، 2006، ص:20

أما إذا أردنا الكشف عن بداية علاقة المستشرق بالمدونة فإنها بالتأكيد ترجع لأول الترجمات التي قام بها رجال الدين للقرآن الكريم ويعود تاريخ أول ترجمة كاملة للقرآن سنة 1143 حيث يذهب بدوي إلى تأكيد ذلك في قوله (بأن أول وأقدم ترجمة كاملة للقرآن هي تلك التي دعا إليها ورعاها بطرس المحترم رئيس دير كلوني وتولاها بطرس الطليطلي وهرمون للماشي وروبرت كينت [10])

لقد حاول رجال الدين الكشف عما يحتويه كتاب الإسلام ومحاولة معرفة حقيقته لتسهل بذلك مهمتهم في نشر المسيحية في الأوساط الإسلامية وإن لم يكن الهدف الحقيقي من وراء ذلك هو الحد من انتشار الإسلام على حساب المسيحية وفي هذا يقول يوهان فوك (لقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية ([11]، وهذا ما ذهب باريت لتأكيده أيضا في قوله بأن (الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم للدين المسيحي (.[12]

أما بالنسبة للترجمة الأولى، ورغم ما حملته من أخطاء إلا أنها اكتسبت مكانة كبيرة وتمت على أثرها العديد من الترجمات ويؤكد فوك بأن هذه الترجمة كانت مليئة بالأخطاء الفادحة ويشير إلى المترجم فيقول بأنه لم يكن أمينا إذ أغفل ترجمة العديد من المفردات ولم يتقيد بالسياق ويعطي فوك أمثلة عن الترجمة فيقول بأنه ترجم الآيات الأولى من سورة الهمزة ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده موضحا بأنه حذف يحسب وترك أخلده فأعطى عكس معنى الآية.

كما أنه ترجم الآيةّ : الأمر الواضح {وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة} كلمتين مترادفتين "ألسنة وأعمدة النار الشاهقة.[13]"

---

[10] عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، مرجع سابق، ص: 441
[11] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص: 16
[12] رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، مرجع سابق، ص: 14
[13] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، مرجع سابق، ص: 19 بتصرف

ورغم هذه الأخطاء الواضحة إلا أننا لا نعرف إن كانت متعمدة أم أنها تمت عن ضعفهم و جهلهم لخصائص لغة القرآن الأصلية ، لكن ما هو أكيد هو محاربة رجال الكنيسة للإسلام ،علاقة الغرب المسيحي والشرق الإسلامي في العصور الوسطى وحتى بعدها كانت علاقة تنافر ،ومن هنا فإن الترجمات الأولى للقرآن نشأت من خلالها دراسات غير موضوعية عن الإسلام وكتابه لتظهر فيما بعد ترجمات جديدة أكثر دقة وتظهر معها دراسات وصفت بالموضوعية ومثال ذلك الترجمة التي قام بها جورج سيل للقرآن والتي حظيت بمكانة كبيرة مثل ما يقول فوك وقد قدم المترجم معها تاريخ العرب قبل الإسلام ومدخلا عاما للقرآن ورغم أن هذه الترجمة وصفت بالموضوعية وهي لا تنفي نبوة محمد ولا القرآن إلا أنه لم يرفع مكانة الإسلام ليكون بمرتبة مساوية للمسيحية [14]

نلاحظ من خلال هذا أن الدراسات قد أصبحت أكثر جدية وعملية فلم يعد غرض الدراسة واحد بل تعددت الأغراض وتعددت الأشخاص ومن هنا جاء الاختلاف في الحكم عن الدين والقرآن

يقول رودي باريت بأن المراحل الأولى للدراسات الإسلامية والعربية تختلف اختلافا جوهريا عن الدراسات التي وجدت منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريبا معلنا بأن دراساتهم لا تقام من أجل التقليل من مكانة العالم الإسلامي بقدر ما تقام لثبات تقديرهم لهذا العالم ومن هنا فإن دراساته الإسلامية لا تأخذ بالمصادر وما جاء فيها فهي لا تقيم وزنا إلا لما يثبت أمام النقد وفي هذا يقول ونحن في هذا ينطبق على الإسلام وتاريخه وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن [15] وفي هذا تأكيدا لقولنا ،المستشرق لا يبقي على النصوص الدينية قدسيتها ومن ثم فإنه يطبق عليها منهجه النقدي كأي نص آخر.

[14] نفس المرجع، ص: 109
[15] رودي بارت، الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية، مرجع سابق، ص: 15

المبحث الثالث: الوحي من منظور الاستشراق

لقد اهتم بعض المستشرقون بمسألة الوحي وسبب اهتمامهم يعود لكون الوحي العنصر الأساسي الذي يرتكز عليه الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية فأنتج ذلك الاهتمام مجموعة من الآراء المتعلقة بالموضوع وانقسم المستشرقون بذلك إلى مؤيد ومصدق لحقيقة الوحي ومعارض ورافض لها فأما المؤيدون فهم تلك الفئة التي درست الإسلام بموضوعية فأدت دراستهم تلك للإيمان بما جاء فيه وأعلن البعض الانتماء إليه أما الرافضون فإذا تسائلنا عن سبب ذلك وقلنا ماهي الأسباب التي جعلتهم يرفضون فكرة الوحي و ينفونها؟

فان الجواب بالتأكيد سيكون كالتالي:

إن فكرة الوحي في الإسلام مرتبطة أساسا بفكرة التنزيل فإذا كان الوحي يعني الإشارة والرسالة والكتابة فإن الوحي في الإسلام يعني ما يلقى إلى الأنبياء من عند الله [16]

ومن هنا فإن الإيمان بالوحي يعني الإيمان بالمصدر الإلهي للقرآن الكريم وهذا ما عمد المستشرقون على إثبات نقيضه كونهم يردون القرآن لمصدر بشري مؤكدين بأن القرآن من تأليف النبي محمد هذا يعني بأن النبي ليس مكلف من الله بتبليغ رسالة إنما يرجع سبب ذلك لكونه آمن بمجموعة من الأفكار وهذا ما أراد نولدكه إثباته من خلال قوله جوهر النبي يقوم على تشبع روحه من فكرة دينية ما تسيطر عليه أخيرا فيتراءى له أنه مدفوع بقوة إلهية ليبلغ من حوله من الناس تلك الفكرة على أنها حقيقة آتية من الله [17]وهذا ما مر به محمد حسب رأيه فجعل منه نبيا فالنبي هو من تكون له القدرة على الإتيان بأفكار جديدة ومحاولة تبليغ قومه بها .

[16] رجب عبد الجواد إبراهيم، معجم المصطلحات الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002، ص:297

[17]تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، تعديل فريدريك شفالي، تر: جورج تامر، مؤسسة كونراد – أديناور، بيروت، ط1، 2004، ص 4.

هذا الرأي نابع من اعتقاده بفكرة أخذ النبي لتعاليم من كتب الديانات السابقة ولو تساءلنا عن الطريقة التي أخذ بها النبي هذه التعاليم خاصتا وأن النبي معروف في ديننا أنه أمي فكيف قام بدلك؟

نجد نولدكه يجيب بأن أمُية النبي لا تعني من لا يعرف القراءة والكتابة بل" الأمي" من خلال القرآن من يجهل الكتاب المقدس.[18]

لجانب هذه التفسيرات هناك تفسير آخر يرجع الأعراض التي كانت تنتاب النبي في وقت نزول الوحي للإصابة بالصرع وهذا ما أكده هنري ماسيه في قوله بأن هناك بعض المؤرخين المتأخرين والبيزنطيون منهم على الخصوص تحدثوا عن الصرع الذي يمكن أن يكون محمد مصابا به ومن المعلوم في القرون الوسطى في الشرق كما في الغرب أن هؤلاء المرضى كانوا يعتبرون روحا يمتلكهم وقد أصبحت الفورمات عند محمد مألوفة كثيرا ابتداءاً من الوحي الأول الذي حدث في شهر رمضان[19]

وبجانب هذا القول نجده يذكر تعبد النبي المتمثل في إقباله على الصوم والصلاة حتى قبل نبوته مشيرا بأنه ربما يكون لهذا الفعل تأثيرا على صحته فينتج عن ذلك أحلام ورؤى فيعتقد بذلك أنه أوحى له مستشهدا بحادثة الإسراء والمعراج.[20]

ومن خلال هذا نستنتج بأن هذه الفئة من المستشرقين قد عمدت لوضع تفسيرات لظاهرة الوحي لتبعد عنها صبغتها الإلهية فتثبت بذلك الصبغة البشرية للقرآن ومثال ذلك مايلي:

---

[18]تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص 14، بتصرف

[19] هنري ماسيه، الإسلام، تر: ترجمة بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، ط3 ،1988، ص:101

[20] نفس المرجع، ص 101

الألفاظ والتصورات الغير عربية:

إن نفي حقيقة تنزيل القرآن عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونفي الوحي المنزل من الله جعلت منه مجموعة نصوص ألفها محمد (ص) في أزمنة مختلفة حسب ما اقْتضتهُ الحاجة فأخذها من تعاليم الديانات السابقة

فاستقى من القصص اليهودية ومن تعاليمها وأخذ عن المسيحية أيضا، فكانا مصدرين أساسيين اعتمد عليهما في تأليفه مبررين قولهم بمجموعة شواهد رأوا أنها أكبر دليل على اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم على تلك المصادر، فذكروا مجموعة من الألفاظ التي نفوا عنها أصلها العربي وأرجعها إلى لغات أخرى نذكر منها مثلا كلمة قرآن والتي تفيد معنى التلاوة، يؤكد أغلب المستشرقون بأنها ربما تكون مأخوذة عن اللغة السريانية فنجد بلاشير يقول: (إن السورة المنزلة الأولى التي افتتحت دعوى محمد تشتمل على الأصل اللغوي لاسم "القرآن"، ففي بعض المقاطع القرآنية وردت كلمة "قرآن" بمعنى التلاوة ويمكن أن تكون هذه الكلمة مأخوذة عن اللغة السريانية التي يرد فيها لفظ مشابه جدا) [21]هذا المعنى كما أن باريت يؤكد نفس القول عندما يرجع مصطلح القراءات إلى الفعل قرء والذي يرى بأنه مأخوذ في الغالب من الآرامية مستدلا بأن اليهود والمسيحيين الذين عايشوا عاصر النبي كانوا يستعملون الآرامية في تلاوتهم النصوص المقدسة.[22]

ويذكر باريت الفعل " آمن " وهو فعل وارد في القرآن يقول بأنه مستعار من العبرية أو الآرامية أو الحبشية، ولم يتوقف عند هذا الحد بل ذهب إلى القول بأن كلمة "كافر" أيضا مستعارة من غير العربية وهذا ناتج لتأثر النبي بلغات اليهود والنصارى[23]، أما مصطلح "الأمر " فانة ربما يكون أصله "ممرا" والتي تعني "كلمة الله" أو كلمة من الله. [24]

[21] بلاشير، القرآن، مرجع سابق، ص23
[22] رودي باريت، محمد والقرآن، ترجمة رضوان السيد، شرق غرب للنشر، ط1، 2009، ص 95
[23] نفس المرجع، ص:132.
[24] نفس المرجع، ص:101.

كما يوضح بان مصطلح الروح المقدس هو اسم أطلق على جبريل المذكور في الأديان الثلاثة ويؤكد بانه اعتقاد سائد حول فكرة وجود الملائكة،[25] وقد أرجعه نولدكه "روح القدس " إلى مصطلح عبري.

وبالنسبة للفظة "سورة" فاعتبرها هذا الأخير لفظة غامضة رغم أن البعض أرجعها لأصل عبري بمعنى سلسلة من الأشخاص. [26]كما اتفق معه كل من ماسيه وبلاشير في ذلك يقول بلاشير (بقدر الطول تسمى الواحدة منها سورة وهي لفظة غامضة نجدها في بعض الآيات المكية ما كانت المنجمات تتوالى كانت تجعل في مجموعة مختلفة [27] (.

وبالعودة لنولدكه نجده قد أرجع البسملة " بسم الله الرحمن الرحيم " وأكد بأنها صيغة تعود إلى لغة الكتاب المقدس. [28]كما أن الشهادة أو التشهد " لا إله إلا الله " حسب قوله مأخوذة من عبارة يهودية أيضا.[29] أما مجموعة الأفكار والتصورات التي يعتقد بأن النبي قد أخذها من اليهود والمسيحية، فتمثلت في تصورات وأفكار ومفاهيم الشر والشيطان وإبليس والتي أشار باريت بأنها أخذت عن مصادر منحولة أو من تراث بعض الفرق الخارجة عن الدين [30] ، كما نجد فكرة المنسوخ التي أكد نولدكه بأنه لا يمكن لنبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون هو من اختلقها فهذه الفكرة والتصور وجدت في المسيحية القائلة بنسخ الشريعة اليهودية بواسطة الإنجيل ومن ثم فإنه يعتبر مصطلح النسخ مأخوذ عن الآرامية إذا ما ثبت أن فكرة النسخ مأخوذة عن المسيحية. [31] و نجدهم يرجعون القصص القرآنية إلى اليهودية ونجدهم يرجعون القصص القرآنية الى مصادر يهودية إلا الأجزاء التي تذكر عيسى ووالدته إلى المسيحية.

ولم يقتصر الأمر على ذكر ألفاظ وتصورات فقد ذهبوا إلى تفسير الحروف الموجودة في بعض السور القرآنية والتي أطلقوا عليها مصطلح الحروف المبهمة حيث ذهب نولدكه إلى القول بأنها اختصارات لأسماء أصحاب النسخ التي استخدمت في جمع القرآن، نافيا عمل النبي في إدراجها في السور، قبل أن يتراجع عن هذه الأقوال إلا أن آراءه

---

[25] نفس المرجع، ص:102.
[26]تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص:20 بتصرف.
[27] بلاشير، القرآن، مرجع سابق، ص:27.
[28]تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص 104.
[29] نفس المرجع، ص:08
[30] رودي باريت، محمد والقرآن، مرجع سابق، ص:102.
[31]تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص:48.

لقيت رواجا من طرف الكثيرين فيما بعد الا من طرف لوت الذي خالفه في ذلك، فهو يؤكد بأنه يمكن لمحمد (ص) أن يكون وضع هذه الحروف والإشارات لكونه كان يميل ويحب كل ما هو غريب وغامض وبما أن السور تنتمي إلى الفترة المكية المتأخرة والمدينة المبكرة حيث كان النبي قريب من اليهود، فربما يكون قد تأثر بهم وأخذ الحروف عن التصوف اليهودي، ومن هنا فإن الحروف لم تسلم هي الأخرى من إدراجها ضمن ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مصادر أخرى.[32]

[32] نفس المرجع، ص:303.

المبحث الرابع: آراء المستشرقين في مراحل جمع القرآن:

أولا: آرائهم في جمع القرآن في زمن النبي:

لقد أجمع كل من نولدكه ومآسيه وبلاشير وحتى سيل على أن القرآن لم يدون في زمن النبي وإنما دون في زمن لاحق أرجعه البعض لزمن الخليفة الأول أبي بكر مؤكدين بأن ما دون في زمن النبي ما هو إلا أجزاء بسيطة جمعت لأهميتها وقد ذهب كل منهم إلى تأكيد رأيه بطريقة خاصة مشيرين إلى عمل الصحابة في جمع القرآن على أنه خير دليل علي أن القرآن لم يدون في زمن النبي وإلا لما كان عملهم أمرا ضروريا وهذا مما تأكد في قول سيل (إن القرآن على شكله الحالي هو إعادة إنتاج لتدوين أبي بكر .... كل هذا لم يكن ضروري لو أن محمد جمع وترك نسخة صحيحة)[33]

يقول نولدكه في ذلك (أن لا يكون القرآن قد جمع كاملا في أيام النبي أمر بديهي[34] (وتفسير هذا القول هو أن النبي قد كانت له رغبة في جمع وتدوين القرآن كاملا وقد عمل حسب نولدكه على تدوين بعض الأجزاء إلا أنه لم يوفق في جمعه كاملا لأسباب كثيرة نستخلصها فيما يلي:

أولا: رغبة النبي بترك مجال لنفسه عله يرغب في تغيير بعض الآيات واستبدالها أو إلغائها تماما ولهذا لم يشأ أن يقيد الوحي بالكتابة.

وثاني الأسباب: تمثل في الظروف التي عاشها النبي في مكة والصراعات التي خاضها مع قومه لإثبات نبوته. [35]

[33] كانون سل، تطور القرآن التاريخي، ترجمة: مالك مسلماني، ص:07، 2011. Www, muhammadanism, org november

[34] نولدكه تيدور تاريخ القرآن - ص:240.

[35]نفس المرجع، ص ص: 237 238 بتصرف.

أما السبب الثالث: فيعود لكون الكتابة لم تكن سائدة ومنتشرة كثيرا في زمنه وقد أكد ذلك في قوله كان هناك الحفظ في الذاكرة في وقت كانت الكتابة من الفنون النادرة.[36] إلا أننا نجد أن بلاشير يذهب لقول مخالفا مفهوم النص المكتوب كان حاضرا في أذهان أنصار النبي صلى الله عليه وسلم حسب قوله موضحا أنهم استمدوا هذا المفهوم من كتب اليهودية والمسيحية التي كانت في المدينة إلا أنهم لم يشعروا بضرورة الكتابة أقله في مكة مشيرا إلى أن ما دون في المدينة على مواد خشنة كالجلود وغيرها كان جزئيا ومتخلفا بسبب انعدام مواد الكتابة. [37]

وتعود آخر الأسباب وأبرزها في الموت المفاجئ للنبي وانقطاع الوحي فهذا الأخير يذهب إلى القول بأن الوحي استمر في حياة النبي وقد انقطع بموته وجاء هذا الرأي لإثبات اعتقاده بأن النبي كان يؤلف القرآن حسب الظروف التي كان يخوضها. [38]

ثانيا: آرائهم في جمع الخليفة أبي بكر:

هناك رواية سائدة تقول بأن عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) قد أشار على الخليفة أبي بكر بتدوين القرآن بعد معركة اليمامة مخافة أن يتحرى القتل بالقراء يختفي بذلك القرآن ورغم تردد الخليفة في البداية لكونه لم يأخذ ذلك عن النبي إلا أنه وافق على الفكرة وأمر زيد بجمع القرآن، الذي استصعبه هو الآخر إلا أنه امتثل للأمر وانطلق بجمع أجزاء القرآن المدونة على المواد المختلفة.

انطلاقا من هذه الرؤية نجد تعددا في الآراء حول صاحب الجمع أو المبادر إليه فقام نولدكه بمقارنتها مع بعضها ليصل إلى نتيجة جعلته يشكك في صحتها ويؤكد بأنها متناقضة، فالأولى التي ترجع فضل الجمع إلى أبي بكر تخالف تلك الآراء التي ترجع الفضل لعمر أما الثالثة فإنها تجمع بينهما فالجمع بدأ مع أبي بكر وانتهى مع

[36] تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص 239.
[37] بلاشير، القرآن، تر رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1974، ص 28 بتصرف.
[38] تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص 239.

عمر ومن هنا فإن هذه الروايات لا تحمل حقائق بقدر ما تحمل ادعاءات حسب رأيه مشيرا إلى أن الأمر الذي يكاد يقارب الحقيقة هو انتقال المصحف إلى حفصة بالإرث وبالتالي فإذا لم تكن تعرف القراءة وأخذت المصحف بغرض ذلك فلا بد من وجود أسباب تجعلها تقبل على هذا الفعل ليصبح المصحف مصحفا خاص وليس عملا للدولة.

وبالرجوع للأسباب نجده قد توصل إلى استنتاج مفاده أن المسلمين ارجعوا بعض الفضل لأبي بكر لكونه أول المسلمين والصاحب المقرب إلى النبي وبعض الفضل لعمر لكونه ذلك الخليفة المحبوب الشجاع، وعثمان ذلك الحاكم العاجز والغير المحبوب حسب قولهم أصبح الأب الروحي للمصحف وبالتالي فما كان على المسلمين إلا الرضوخ للأمر الواقع، وإرجاع بعض الفضل لخلفائه السابقين وإن هذه الروايات ما هي إلا تأليف مصطنع للرأي. [39]، موضحا بأن الأمر الأكيد هو عمل زيد في الجمع فهو لا يتنافى مع أشكال التقليد التي ناقشها كما أن عثمان قد عمل على تعيينه في توحيد المصاحف، وهذا ما يؤكد بأنه من دون مصحف حفصة.

وإلى جانب تشكيكه في الآراء الثلاثة فإنه يشكك في رابط الجمع بمعركة اليمامة ويوضح بأنه لم يجد في أسماء من ماتوا في حرب الردة إلا شخصين لمن تنسب لهما المعرفة الجيدة بالقرآن. [40]

إن الطريقة التي اعتمدها هذا الأخير في تحليل الآراء لا نجد لها أثر عند بلاشير ومآسيه اللذان يأخذان بالرواية والآراء فأنشأ من خلالها رأيهما ماسيه مثلا ورغم أنه يذكر الرأيين الأول والثاني إلا أنه لم يصرح بأي تصريح حولهما وهذا ما يوضح في قوله (يعود فضل جمع هذه الشذرات المبعثرة للمرة الأولى إلى أبي بكر خليفة محمد صلى الله عليه وسلم، أو إلى عمر الذي أشار إليه) [41]

[39] تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص:255 بتصرف.
[40] نفس المرجع، ص:256 بتصرف.
[41] هنري ماسيه، الإسلام، مرجع سابق، ص: 106

أما بلاشير فيؤكد بأن جمع القرآن تم بمبادرة من الخليفة أبي بكر نفسه وجاء هذا عندما استولى الاضطراب على بعض العقول خوفا من اختفاء القرآن بموت القراء، وهذا بسبب الحرب التي وقعت نتيجة ارتداد خطير إلى الوثنية شرقي الجزيرة العربية حسب رأيه.

ويذهب بلاشير وكغيره إلى القول بأن المصحف الذي جمع بقي ذا طابع خاص فلم يصل إلى ما وصلت إليه المصاحف الأخرى كمصحف ابن مسعود ومصحف أُبي. [42]

ثالثا: آرائهم في جمع الخليفة عثمان:

إلى جانب المصحف الذي تم جمعه وتدوينه بأمر الخليفة أبي بكر رضي الله عنه وعمر وجدت مجموعة من المصاحف قام بتدوينها صحابة آخرون هم أبيٌّ ابن كعب وعبد الله بن مسعود والمقداد ابن عمر وعبد الله الاشعري

إذا كان المصحف الأول اتصف بطابع خاص فإن المصاحف الأخرى وصلت إلى أمصار إسلامية متعددة أو مختلفة فقد اعتمد أهالي دمشق على مصحف أُبي رضي الله عنه و اعتمد أهالي الكوفة مصحف ابن مسعود أما مصحف مقداد ابن عمر فقد اعتمد في حمص عكس المصحف الأول الذي بقي مع حفصة ويشير ماسيه إلى الاختلافات التي كانت موجودة في المصاحف مؤكدا بأنها السبب في توليد الانقسامات بين المؤمنين واعتماد كل مصر على مصحف معين من المصاحف المختلفة شبت عنه منازعات هددت الإسلام وهذا ما جعل حذيفة قائد المسلمين آنذاك يتخوف من الأمر ويشير على الخليفة عثمان رضي الله عنه فعين هذا الاخير زيد بأن يقرر مصاحف نهائية للقرآن وضم إليه بعض القرشيين كمساعدين للقيام بهذا العمل وعملوا على تدوين ونسخ عدة مصاحف بعث بها للامصار التي كانت تعتمد مصاحف مختلفة افترض "ماسيه أن لهذا العمل هدف سياسي يعادل الهدف الديني فإذا كان عثمان قد وصل إلى الخلافة ، فكان لابد أن يعزز مركزه ومكانته بإقراره مصحفا ثابتا لا يتغير أبدا يذهب

[42] بلاشير، القرآن، مرجع سابق، ص: 30 بتصرف.

ماسيه إلى القول بأن التقاليد الإسلامية تذكر عمل عثمان في كتابته لأحد النسخ بيده مشيرا إلى أنها يمكن أن تكون النسخة المعتمدة في المدينة إلا أنه يُرجِح بأن عثمان ترك الأمر لزيد " [43]

عمل عثمان في إقرار مصحف نهائي للمسلمين كان قد أقيم على أساس أوسع وأشمل حسب رأي بلاشير فكان المنطلق مصحف أبي بكر وضم إليه مقطوعات مبعثرة أو محفوظة غيبا فقط،[44] أما نولدكه وتلميذه فيوضح أن عمل عثمان اقتصر على نسخ المصحف معتمدا على المصاحف المدونة من قبل وخاصة مصحف حفصة.

يشكك هذا الأخير في الروايات التي تذكر المجموعة التي وضعها عثمان في نسخ المصاحف كما أنه قلل من دورهم وأهميتهم موضحا بأن إدراج القرشيين يمكن أن يكون تزويرا إما لمصالح قريشية أو لدوافع أخرى إلى جانب عمل عثمان. [45]

هناك عمل آخر في توحيد المصاحف جاء بعد مقتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب فقد أثرت الانفعالات الدينية على تعديل نصوص قرآنية قديمة كالمصحف الذي ينسب إلى ابن مسعود. [46]

---

[43] هنري ماسيه، الإسلام، مرجع سابق، ص: 107.
[44] بلاشير، القرآن، مرجع سابق، ص:31.
[45] تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص:289 بتصرف.
[46] بلاشير، القرآن، مرجع سابق، ص:32.

الفصل الثاني:

المستشرقون ودلائل تحريف القرآن

المبحث الأول: الزيادة والنقصان في القرآن:

إن انطلاق عملية الجمع والتدوين جاء نتيجة للأزمة التي وقع فيها المسلمون المتمثلة في موت القراء في بداية الأمر ومن ثم نشأت فكرة نسخ المصاحف من أزمة اختلاف الأمصار حول قراءة القرآن، كل مصر من الأمصار كانت له قراءة.

إلا أن الأزمة من منظور الاستشراق تمثلت في اختلاف النصوص والزيادة والنقصان في المصحف العثماني.

المصاحف الثلاثة كانت تحتوي على اختلافات في ترتيب الصور وفي زيادة بعضها ونقصان البعض. لقد أضاف جماع القرآن لمصحف عثمان سورتين وأنقص سورتين ، يوضح نولدكه بأن السورتين من مصحف أبي لا تنتميان للقرآن ، فهما لا تحتويان على اللفظ "قل" الذي يشير إلى أنه قول الله ،والذي يضيفهما محمد (ص) لكلامه ليضفي الصبغة الإلهية عليه ،أما مصحف ابن مسعود فتنقص منه المعوذتين والذي يشكك في كونهما من القرآن لأنهما تختلفان شكلا ومضمونا عن سائر السور أما بالنسبة للفاتحة فيقول أنها أضيفت للنص في وقت لاحق فلا يمكن أن تكون الفاتحة جزءا من الوحي لأن لغتها قريبة من لغة العبادة في الصلاة اليهودية والمسيحية كما أنه تغيب لفظة "قل " الصيغة القرآنية المعتمدة بها ، مستدلا بالأقوال التي تنفي عن ابن مسعود كتابة الفاتحة في مصحفه. [47]

ويوضح بأن نصوص الوحي التي حفظت غيبا لدى بعض المؤمنين الذين شحنوا ذاكرتهم بمقاطع أطول من القرآن لم تدون في المصحف أبدا فقد ضاعت وفقدت تماما في ظروف معينة، كما أشار إلى كون الوحي الذي كان يحفظ في ذاكرة النبي كانت تطرأ عليه بعض التعديلات بسبب تعرض النبي للنسيان في بعض الأحيان. [48]

[47] تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص:255 بتصرف. .
[48] نفس المرجع، ص: 239 بتصرف.

ولم يختلف ماسيه عنه فهو يوضح بأن الوحي الذي دون في زمن النبي ما هو إلا مجموعة بسيطة أما بقية الوحي فلم يدون ومن هنا فإن عمل الصحابة جاء انطلاقا من المجموعة البسيطة المدونة. [49]

من خلال هذا نستنتج أن الآراء جاءت لتثبت بأن النصوص المدونة لا يمكن أن تكون كل النصوص التي جاء بها النبي، فما هو مدون في المصحف ما هو إلا أجزاء منها وقد أضيفت له أجزاء لم يأتي بها النبي وأدرجت في النص في وقت لاحق.

[49] تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص:255 بتصرف. .

المبحث الثاني: مسألة الترتيب:

لقد دعا بعض المستشرقين إلى ضرورة إعادة ترتيب سور القرآن وإعادة ترتيب المصحف العثماني مؤكدين بأن هذا الترتيب غير متناسق حيث يهمل فيه زمن الوحي كما يهمل فيه معنى الآيات ومن هنا فقد حاول نولدكه إعادة ترتيب السور وفق تاريخ تأليفها "باعتباره يرجع القرآن إلى تأليف النبي صلى الله عليه وسلم". فقسم هذا الأخير السور إلى مجموعتين: المجموعة الأولى تحتوي على السور المكية وقد قسم السور إلى ثلاثة مراحل:

- السورة المكية الأولى
- السورة المكية الثانية
- السور المكية الثالثة وهي الفاصلة بين ما هو مكي وما هو مدني

أما المجموعة الثانية فتحتوي على السور التي أوحي بها في المدينة ومن هنا فإن هذا العمل يقوم على الكشف عن أسباب التي جاءت على إثرها هاته السور.[50]

لقد أشاد المستشرقون بعده بعمله وقد حاول آخرون أن يعيدوا ترتيب القرآن منطلقين من أبحاث "نولدكه "، وقد كان كنون سيل من أبرز الآخذين بأبحاثه.

إن قرار إعادة ترتيب القرآن نتج بسبب اعتقادهم "المستشرقون" بأن الترتيب في مصحف عثمان غير منطقي وقد أشار ماسيه وبلاشير إلى الطريقة التي رتبت فيها السور حيث أن السور مرتبة تدريجيا من الأطول إلى الأقصر وفقا لطول كل سورة مؤشرا إلى أن السور الأطول وضعت في بداية المصحف والأصغر في الجزء الأخير منه:

[50]نفس المرجع، ص ص238_239

يقول ماسيه في هذا (ترتيب السور متأسس بكل بساطة وفق طول كل سورة والسور الأقدم " وهي موجودة في نهاية القرآن أكثر قصرا ")[51]، موضحا بأن السور التي تولت أولا وضعت في آخر المصحف ومن هنا فإن بلاشير يذهب إلى القول بأن هذا الترتيب يمكننا من القول بأننا نقرأ القرآن بتاريخ معكوس.[52]

– لقد توصل نولدكه وشيفالي إلى نتيجة مفادها أن السور رتبت حسب طولها الظاهري، أي حسب عدد صفحاتها لا بطول آياتها، إلا أن هذا الترتيب قد شذ عليه وجود بعض الصور ذات عدد صفحات قليل بين سور عدد صفحاتها أكثر، وقد استشهد بصورة الرعد و سورة إبراهيم والحجر ذات ثلاثة صفحات التي وضعت بين سورة عدد صفحاتها سبعة صفحات ومن هنا فإنه يرجع سبب ذلك إلى كون تلك السور كانت مدونة بأشكال مختلفة "من قبل" ما أخفى طولها الحقيقي .[53]

ومن ثم فإن نولدكه يوضح أسباب هذا الترتيب بإعادته إلى طبيعة مصحف حفصة، فيقول في ذلك (لابد من افتراض أن ترتيب السور الحالي يرجع إلى وضع النص غير الجاهز الذي كان يوجد فيه مصحف حفصة والذي لم يجرؤ زيد على أن يعتل فيه شيئا أو على أن يقوم بتعديلات مهمة عليه إما بسبب موانع ضميرية، أو بسبب خضوعه لأحكام عصره المسبقة، لا يمكن استبعاد أنه كان خاضعا لقيود عديدة.[54])

إلا أن ماسه يخالفه في هذا حيث يوضح ويربط سبب هذا الترتيب بعمل زيد ورفاقه حيث لم تكن لهم القدرة في ترتيب السور حسب تاريخها[55]، ومعناه أنه يعتقد بأن الوحي جاء مجزئا وبالتالي يصعب ترتيبه كما أنه لم يرتبه تاريخيا لأن الوقت كان متأخرا لإثبات ذلك.

---

[51] هنري ماسيه، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، منشورات عويدات بيروت، ط:3 1988، ص: 110

[52] بلاشير، القرآن، ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني -بيروت، الطبعة الأولى، 1974، ص: 38.

[53] تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص:293.

[54] نفس المرجع السابق، ص:298.

[55] هنري ماسيه، الإسلام، مرجع سابق ص:110.

لقد توصل المستشرقون إلى أن ترتيب السور حسب الطول فيه اختلافات أولهما يتمثل في سورة الفاتحة ورغم صغرها إلا أنها صنفت قبل سورة البقرة والتي تعد أكبر سورة في القرآن أما الاختلاف الثاني فتمثل في سورتي الفلق والناس حيث صنفت في آخر المصحف رغم وجود سور أقل منهما.

ولقد فسر نولدكه سبب ذلك بإرجاعه إلى اعتقاد أن المحرر الذي رأى أنه من الضروري أن يبدأ الكتاب المقدس بصلاة شكر وينتهي بأدعية حفظ، يضيف نولدكه وشيفالي (بأنه) إشارة لكون سورة الفلق والناس يمكن أن تكونا لا تنتميان إلى القرآن.[56]

ومن ثم فإن هذه الأسباب هي التي حركت رغبة نولدكه في إعادة ترتيب القرآن كما حركت رغبة غيره.

[56] تيدور نولدكه، تاريخ القرآن مرجع سابق، ص:298.

المبحث الثالث: القراءات القرآنية

ترجع فئة من المستشرقين أمثال هنري وماسيه وتسهير وغيرهم كثيرون اختلاف القراءات القرآنية إلى طبيعة الخط العربي وإلى الخط والكتابة في المصحف العثماني، رغم أن هذا الاختلاف لم يكن وليد تلك اللحظة لكون لان المصحف العثماني جاء نتيجة اختلاف الأمصار حول قراءة القرآن ،وبما أن هذا الاختلاف جاء بسبب اعتماد كل مصر على مصحف خاص من المصاحف المدونة ، فإن مصحف عثمان جاء ليوحد تلك الأمصار على حرف واحد،المصحف مشترك، وهذا ما يؤكد هذا قول أرثر جفري المستشرق الذي اعتنى بكتابة المصاحف ووضع مقدمة فيه عن القرآن وتاريخه وعن القراءات القرآنية (إن اختلاف مصاحف الأمصار كان سببا في أن عثمان أمر زيد بن ثابت بتأليف ما في أيدي أهل المدينة من القرآن لا على أن يكون هذا الجمع والتأليف مصحفا لأهل المدينة فقط بل جمعه ليكون المصحف الرسمي لجميع أمصار الإسلام.[57])

إلا أن طبيعة الخط المعتمد في كتابته كان خالياً من الحركات والتنقيط ومن ثم نتجت قراءات مختلفة ومتعددة للنص القرآني حسب رأيهم، والسبب الأساسي وراء نشوء القراءات المتعددة هو تلك الإضافات المتمثلة في النقاط والحركات التي أضفيت فيها بعد للنص العثماني، النص العثماني لم يسلم من الإضافات والثغرات حسب رأي هنري ماسيه الذي قال في ذلك: (لا يجب الاعتقاد أن كتابة القرآن التي تمت بأمر الخليفة عثمان قد ظلت دون تغييرات، وهذه التغيرات تعود إلى ثلاثة أسباب رئيسية، الأخطاء التي ارتكبها الناسخون ودروس النص المقدس القديمة التي احتفظ بها القرآن والمرتلين المحترفون في ذاكرتهم رغم كل شيء وعدم كفاية ووضوح الكتابة العربية التي تختلط فيها بعض الحروف بسهولة)[58] الإضافات التي وضعت في المصحف العثماني ليست إضافات جديدة بل هي إعادة إحياء للنصوص التي كانت معتمدة من قبل فقد كانت محفوظة في ذاكرتهم وهذا

[57] ابي بكر عبد الله بن ابي داود سليمان بن الاشعث السجستاني، كتاب المصاحف، تقديم ارثر جفري، المطبعة الرحمانية بمصر، ط1، 1936، ص08 من مقدمة الكتاب.
[58] هنري ماسيه، الإسلام، مرجع سابق، ص :109

ما يؤيده أرثر جفري أيضا في قوله (فكان حينئذ لكل قارئ اختيار في الحروف، وكذلك اختيار في الشكل أيضا، وفضلا عن ذلك فقد وقع اختيار بعض القراء كما يتبين ذلك من كتب القراءات، على كثير مما كان في المصاحف التي منع عثمان استعمالها).[59]

لا يختلف جولد زيهر عنهم كونه أيضا يرجح بسبب اختلاف القراءات لطبيعة الخط العربي موضحا بأن الحروف العربية يتغير صوتها بحسب عدد نقاطها والمكان الموضوعة فيما كما أن للحركات تأثير أيضا موضحا بأن هذه الحركات والنقاط كانت السبب في اختلاف القراءات بعدما أضيفت للنص الذي كان خالي تماما وهذا ما تؤكده في قوله " (اختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقطا أصلا")[60]، يشير هذا الأخير إلى أن اختلاف النقاط والحركات ينتج ألفاظ مختلفة ومعاني مختلفة وهذا الاختلاف ينتج عنه اختلاف في التفسير أيضا كما أن هذا الاختلاف يصل إلى حد التناقض في بعض الأحيان.

وقد أعط زيهر مجموعة من الأمثلة لكل اختلاف نذكر منها على سبيل المثال أولا الاختلاف الناتج عن التنقيط: يستشهد بـ الآية 4 من سورة الأعراف قال تعالى: "ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون"، قرأ بعضهم بدلا من تستكبرون بالباء الموحدة حسب قوله تستكثرون بالتاء المثلثة وفي هذا النوع من الاختلاف يقول بأنه لا يكاد ينال المعنى تغيير ذو بال.

وفي النوع الثاني في الاختلاف الناتج عن الحركات يستدل بالآية 8 من سورة الحجر قال تعالى: "ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين" فالاختلاف هنا يكمن في اختلاف القراء في اللفظ الدال على نزول

[59]أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، مرجع سابق، ص 09 من مقدمة جفري للكتاب.
[60]أجناس جولد تسهير، مذاهب التفسير الإسلامي، تر: عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر، ومكتبة المثنى، بغداد، د ط ،1955، ص08.

الملائكة هل هو ننزل أو تنزل أو تنزل فالكلمة يختلف معناها فكل كلمة تفيد معنى معين، وهذا النوع ينتج اختلاف نحوي فحسب وهناك نوع آخر من اختلاف القراءات وهو ذلك النوع الذي يدعو الى تغيرات أبعد في المعاني وهو ما أوضحه من خلال الآية 43 من سورة الرعد قوله تعالى: "ومن عنده علم الكتاب" فهذه القراءة تختلف عن الأخرى "ومن عنده علم الكتاب" وهناك قراءة ثالثة "ومن عنده علم الكتاب" وهذا ،النوع من الاختلاف نتج عنه اختلاف فقهي ،وقد أشار إلى نوع آخر من الاختلاف يؤدي إلى تناقض في المعنى " [61]

يختلف نولدكه عنهم في كونه يرجع اختلاف القراءات إلى النبي (ص) نفسه وإلى الطريقة التي كان يتلوا بها القراءات على صحابته وهذا ما يؤكد في قوله (لكن بعض القطع تلاها محمد على أناس مختلفين بصيغ مختلفة، وإما لأنه أراد أن يحسنها أو هذا أكثر حدوثا، لأن ذاكرته عجزت عن حفظها من دون تعديل)[62]، لقد استشهد نولدكه بالرواية القائلة بأن عمر وهشام بن الحكم اختلفا على قراءة سورة الفرقان فاحتكما إلى النبي الذي حكم بصحة القراءتين معلنا بأن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

لقد فسر نولدكه كلمة أحرف بقراءة وبالتالي يجوز قراءة القرآن بطرق مختلفة وهذا حسب قوله "حرف" تعني قراءة، ما يعني أن القرآن تجوز قراءته بطرق مختلفة وقد يكون الاختلاف كبيرا جدا ويؤدي إلى حذف أيات كاملة أو إضافتها، وهذا ما يعترف به بعض المسلمين، إذ يذكرون أنه كان من الجائز استبدال كلمات مفردة بسواها تؤدي المعنى نفسه .[63]

ومن هنا فإن نولدكه رفض كل التفسيرات التي وضعت لتفسير معنى الأحرف السبعة فرفض بذلك إرجاع الأحرف إلى لهجات ولغات مؤكدا بأن النبي أجاز لكل شخص قراءة القرآن بلهجته إلا أن الاختلاف لم يكن

[61] أجناس جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، مرجع سابق، ص 09.
[62] تيدور نولدكه، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص44
[63] نفس المرجع، ص 45

كبيراً لدرجة نشوب خلافات بين الصحابة حوله وقد أوضح بأن القبائل التي كانت تسكن في مكة وجوارها لم تكن لهجاتهم مختلفة فربط القراءات السبعة بلهجات القبائل المجاورة لمكة خاطئ [64]

يعلن جفري بأن القراءات القرآنية مرت بمراحل في تطورها، بدأت من اعتماد الأمصار على المصاحف المختلفة وصولا إلى توحيد القراءات، واعتمادهم على مصاحف مختلفة أنتج قراءات مختلفة فوضعت بذلك قاعدة تلزم إتباع كتابة المصحف العثماني وإتباع اللغة العربية، وبذلك سقطت العديد من القراءات وبقيت سبعة منها فكل فئة كانت تعتمد على قراءة خاصة تسير وفق القاعدة وبقيت تلك القراءات سائدة حتى تغلبت قراءة حفص على جميع القراءات وأصبحت القراءات السائدة في مختلف الأمصار عدا دول المغرب التي سادت لديهم (قراءة ورش) قراءة نافع. [65]

[64] تيودور نولدكة، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص:47.
[65] أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، مرجع سابق، ص 09.

الفصل الثالث:

آراء المستشرقون

مناقشات وردود

المبحث الأول: القرآن وحي الله

لقد استخدم علماء الاسلام وحتي المفكرين مجموعة من التعريفات قصد توضيح مفهوم القرآن ومصدره مثلا نجد المفهوم الذي يوضح بأن القرآن كلام الله الموحى به والمنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هذا ما هو متداول في الأوساط الإسلامية وهذا ما يؤمنون به فهم يصدقون تصديقا جازما بأن القرآن الكريم من عند الله ومن مصدر سماوي وان محمد ما هو الا رسول قد خلت من قبله الرسل مكلف بتبليغ الرسالة . هذا المفهوم هو بمثابة تأكيد المصدر الإلهي للقرآن، لكن ومن خلال مفهوم آخر و الذي يوضح بأن القرآن مدونة كلامية، فإن الأمر هنا يختلف تماما، فكون القرآن هو عبارة عن مدونة كلامية فهذا يفصح عن الكثير هذا يعني أن القرآن عبارة عن نصوص مكتوبة في ظروف معينة لها زمان ومكان وبالطبع أشخاص عملوا على تدوينها. إذا ما هو بين أيدينا اليوم هو نتاج تدوينات قام بها بعض الأشخاص في وقت مضى، فهل يعقل أن تكون هذه التدوينات من مصدر إلهي؟

من خلال هذا الامر تمكن المستشرقين من التشكيك و الطعن في حجية القرآن الكريم ونحن لا ننتظر غير ذلك من هؤلاء و نحن نعرف طبيعة العلاقة بينهم وبين العالم الإسلامي كما لا ننتظر منهم تقديس القرآن خاصة بعد قيامهم بتجريد كتبهم الدينية من قدسيتها وهذا بعد اكتشافهم لمجموعة من الأخطاء والتحريفات فيها ولعل هذا من أبرز الأسباب التي جعلتهم يصرون على أن القرآن ككتاب لا يمكن ان يكون خالي من الاخطاء ولا معصوم من التحريفات ،ولذلك فإنهم يطبقون عليه ما يطبقونه على باقي المؤلفات الأخرى من نقد وتحليل وبالطبع نجد أنهم لتأكيد آرائهم استدلوا بالقصص القرآنية والأفكار والتصورات وحتى الألفاظ التي يعتقد أنها أعجمية كل هذا جاء لتأكيد عمل النبي في تأليف القرآن، وليس هذا فقط بل استخدمت النصوص التي تذكر بعض الأحداث التي عاصرها النبي صلى الله عليه وسلم لتؤكد بأن القرآن الكريم كتاب تاريخي ،فهل يعقل أن يكون القرآن كتاب تاريخي ألفه بشر، أم أنه كلام الله وأن تدوينه من طرف البشر لا ينفي مصدره الإلهي؟

للجواب عن هذا التساؤل نستحضر مفهوم أخر والذي يشير إلى كون القرآن كلام الله المعجز بألفاظه ومعانيه ،لعلنا من خلال هذا المفهوم نلامس الجواب كما نلامس دليلا يؤكد صحته أيضا فالقول بأن القرآن كلام الله يؤكد مصدره الاهي وما يؤكد أنه من الله هو الاعجاز اللفظي والمعنوي المتضمن في نصوصه ومن أمثلة الإعجاز في القرآن نجد قوله تعالى (قل سيروا في الأرض)

يقول الشيخ الشعراوي في تفسير الآية لماذا قال الله سيروا في الأرض ولم يقل سيروا على الأرض ويوضح بأن تغيير الحرف يغير المعنى وقد تم تغييره لحكمة بالغة لا يعلمها إلا الله لكن بعد اكتشاف العلم الحديث الغلاف الجوي الذي هو جزء من الأرض يدور معها ويلزمها اتضح الأمر فالإنسان موجود بين غلاف جوي وقشرة أرضية كل هذا يمثل الأرض لذلك فإن الانسان بهذا التعبير موجود داخل الارض أو المحيط وبالتالي فهو يسير في هذا المحيط وليس عليه ومن هنا فإن الإنسان يمشي ويسير في الأرض وليس عليها [66]

كما نجد الدكتور جاري ميلر يستدل في كتابه بالعديد من الآيات الأعجمية التي تحدثت عن العديد من الاكتشافات قبل حدوثها مثلا ما توضحه الآية الكريمة في قوله تعالى {وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين} يقول بأن العلم الحديث اكتشف أن الذرة تتكون من جزيئات في القرن الماضي إلا أن القرآن اكتشف ذلك منذ أربعة عشر قرن.[67]

إن ما تحمله هذه النصوص من دلائل وإعجاز لفظي ومعنوي وحتى علمي لا يمكن أن يكون من وضع بشر، وما استدل به هؤلاء المستشرقين من قصص وتصورات في القرآن اعتقادا منهم بأنها أخذت من مصادر اخرى لكونها موجودة في كتب اليهودية والمسيحية فإن هذا لا يرجع لكون محمد صلى الله عليه وسلم استمد

[66] محمد متولي الشعراوي ،الاعجاز في القران
[67] جاري ميلر، القرآن المعجز، ص10

تعاليمه منها بل لأن مصدر القرآن ومصدر الكتب السابقة عنه واحد، فكل الكتب من عند الله وقد أوضح الله عز وجل ذلك في قوله في سورة المائدةّ {"وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه[68] {" وهذا دليل على أن ما جاء فيه من أخبار سابقيه إثبات وتوضيح لها، كما نجد الآية في قوله تعالى "{ يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة "} تشير إلى أن القرآن يحمل الكثير من التعاليم وقصص الكتب السابقة وهذا من أجل توضيح وتصحيح ما تم تحريفه واثبات وتأكيد الباقي ،وما يؤكد بأن القصص في القرآن لم تأخذ من تلك الكتب هو الاختلاف الموجود في تفاصيل تلك القصص فكل كتاب يذكر تفاصيل معينة نجد اختلاف في كل من قصة نبي الله موسى وسليمان الذي يصوره القرآن بصورة النبي الاواب ويذكر أنه نبي ابن نبي ،الا ان العهد القديم لا يعطي نفس السورة ، ويذكر بأن النبي سليمان ابن زنى محارم ، ولا يقتصر الاختلاف على هذا فقط فهناك اختلافات كثيرة ،هذا من جهة ،ومن جهة ثانية نجد ما يؤكد صحة وثبوت ما جاء به القرآن من أنباء دون غيره ، مثل قصة فرعون موسى الذي ذكرت تفاصيلها في القرآن فقد أوضح القرآن أن جثته ستكون أية للناس ، وهذا ما وقع بالفعل عند اكتشاف أحد العلماء الفرنسيين لمومياء الفرعون الذي مات غرقا وكان هذا سببا في إسلام ذلك العلم ،كما يذكر القرآن قصة هامان وقد أثبتت الكشوف وجود هذا الاسم في الحضارة المصرية القديمة، كما نجد قصة أصحاب الكهف وغيرها الكثير،فكل هذه الآيات تؤكد بأن ما جاء به القرآن لا يمكن أن يكون من مصدر بشري ولا يمكن ان يكون مأخوذ من الكتب السماوية الأخرى، فما يحمله القران من اعجاز يؤكد مصدره الألهي .

أما بالنسبة للألفاظ التي يقول بأنها غير عربية وأنها مستمدة من غيرها فهذا أمر غريب، فكيف يتكلم من هو ليس بغريب عن العربية ألفاظ القرآن ويردها إلى غيرها علما أن هؤلاء المستشرقون ليسوا متأكدين، حتى من نسبتها إلى اللغات التي أشاروا إليها، وفي هذا يذهب الكثير إلى القول بأن القرآن لا يحتوي على ألفاظ أعجمية رغم

[68] سورة المائدة الآية 48

أن البعض اثبتوا العكس ،ومن هنا فإنهم يشيرون إلى أن الألفاظ لم تكن أعجمية وعربت بل إن لغة العرب وافقت تلك الألفاظ، فالألفاظ وجدت في العربية وغيرها وتوافق المعنى في كلا اللغتين [69]وهذا لا يعني أن العربية أخذت تلك الألفاظ من غيرها، ومن هنا فإن لغة القرآن لا تحتوي على اللغات غير العربية وقد تأكد ذلك في قوله تعالى "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون }"و[70]قوله تعالى "{قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون[71] "{ وهناك آيات عديدة في نفس السياق جاءت لتبين وتؤكد على عربية القرآن، وتؤكد مصدره الإلهي لتنفي بذلك نسبته لكتب ومصادر أخرى وهذا ما توضح في قوله تعالى ،{ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين} [72]من هنا يمكننا القول أن مصدر القرآن لا يمكن أن يكون الكتب السابقة لأن ما يحتويه القرآن من تعاليم جاء ناقد ونافيا للكثير من الأفكار والمعتقدات من جهة وكون الكتب السابقة تشير إلى مصدرها الإلهي فهذا يثبت أن القرآن جاء من نفس المصدر ليصحح تلك العقائد التي تغيرت بفعل البشر.

[69] سورة البينة الآية 02
[70] سورة يوسف الآية 02
[71] سورة الزمر الآية 2
[72] سورة النحل الآية 103

المبحث الثاني: القرآن كلام الله المحفوظ:

لقد عمد المستشرقون إلى القول بأن القرآن لم يدون في زمن النبي محمد صلي الله عليه وسلم وأن ما دون في زمنه ما هو إلا أجزاء بسيطة، ليذهب البعض للقول بأن كتابة القرآن لم تكن سائدة بل اقتصر على الحفظ في الذاكرة التي كانت تخون النبي في بعض الأحيان، فهل يعقل أن القرآن لم يدون في زمن النبي ما هو دليلهم في ذلك استنتاجات خاصة، أم رغبة في إضعاف القاعدة ليسهل إضعاف ما بُني عليها.

إن مفهوم الكتابة والكتاب كانا حاضرين وقد أشار بلاشير إلى ذلك، كما أن القرآن قد دون كله في زمن النبي منذ بدء الوحي في مكة، فكان المؤمنون يتسارعون حفظه وتحفيظه "فخيركم من تعلم القرآن وعلمه" كانت منهج وضعه النبي وتبناه صحابته وعلى إثر ذلك جمع القرآن في الصدور ودُونَ في السطور بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم لِكُتَاب الوحي، فعن زيد بن ثابت أنه قال (كنا عند رسول الله نؤلف القرآن في الرقاع[73](

فإذا كان القرآن كلام الله وقد توعد حفظه في قوله تعالى {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[74]} فهل يمكن لضعف ذاكرته أن يُحرف الكلم عن مواضعه وهل هناك قدرة لمخلوق في قدرة الخالق وهو القائل (سنقرئك فلا تنسى).

[73] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015، ص93

[74] سورة الحجر الاية .09

أن القرآن الكريم قد تم جمعه وتدوينه في زمنه صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فإن القرآن ككتاب تم في زمنه وإلا ما كان دعا المؤمنون باتباعه في الخطبة التي ألقاها على المؤمنين في حجة الوداع حين قال (أيها الناس قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه). [75]

وقد كان مفهوم الكتاب ظاهرا من خلال القرآن أيضا فقوله تعالى {كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون}[76] دليل واضح على الوجود المادي للنصوص القرآنية وإلا ما كان هناك تنبيه بعدم لمسها بدون طهر وجواز ذلك للمتطهرين

أما عمل الصحابة في التدوين فقد تم بالاعتماد على ما تركه النبي مدون وما كان محفوظ في قلوب الرجال بأمر من الخليفة أبي بكر بعدما أشار عليه عمر الذي تخوف من ذهاب القرآن بموت حفظته، وإن عمد بعض المستشرقين إلى التشكيك في ربط الجمع بهذه الحادثة مؤكدين بأن ما دون تم بالاعتماد على الأجزاء المدونة وليس علي ما هو محفوظ في الذاكرة، ولهذا لايمكن ربط الجمع بموت القراء ، خاصة وأن الذين ماتوا في الحرب أكثرهم من الوافدين الجدد ، ولا يمكن أن تكون لهم معرفة بالقرآن ،إن هذا الرأي جاء ليؤكد نقص القرآن فإذا كان ما دوِن تم بالاعتماد على الأجزاء التي دونت من قبل فقط ،فإن القرآن الحالي لا يمكن أن يكون هو كل القرآن الذي جاء به النبي محمد.

إلا أن الروايات الإسلامية تؤكد عكس ذلك فالقرآن تم جمعه وتدوينه كاملا في زمن النبي، ومن ثم فإن التدوين في زمن الخليفة جاء انطلاقا منه ومما حفظه المؤمنون في صدورهم أيضا فعمل الصحابة تمثل في جمع ماهو مدون في مواد مختلفة التي اعتمدها كتاب الوحي في زمن النبي للكتابة عليها وما هو محفوظ في صدور المؤمنين

[75] ابن إسحاق، السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2018، ص271
[76] سورة الواقعة الآية79

ليجتمع في مصحف واحد، أما الذين ماتوا وإن كانوا من الوافدين الجدد إلا أنه لا يمكن نفي معرفتهم للقرآن، فالمؤمنون كانوا يتسابقون في حفظ القرآن، ولم يكن الأمر مقتصر على المسلمين الأوائل فقط.

لقد شك نولدكه في عمل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مثل ما أشرنا في الصفحات الأولى مؤكداً بأن الأمر الصحيح والثابت في الروايات هو عمل زيد في الجمع وامتلاك حفصة للمصحف ليؤكد بأن امتلاك حفصة المصحف إن لم تكن تعرف القراءة فإن سببه يعود لرغبتها في إرجاع بعض الفضل في الجمع لوالدها.

في الحقيقة إن إرتباط جمع القرآن بأبي بكر جاء لكونه الخليفة الذي أمر به وقد وقع العمل في زمن خلافته وقد تم إرجاع فضل الجمع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لكونه أشار على الخليفة بذلك بعدما تخوف من موت القراء وإختفاء القرآن ،وارتبط بزيد بن ثابت لكونه عمل عليه ، ومن هنا فإنه لاوجود لسبب آخر جعل من المؤمنين يرجعون لهم الفضل مثلما أشار هذا الأخير ، أما امتلاك حفصة للمصحف فسببه بالتأكيد يرجع لاستعمال خاص كونها كانت تعرف الكتاب فقد ثبت عن النبي أنه أمر الشفاء بنت عبد الله أن تعلم الرقية لحفصة كما علمتها الكتاب وقيل الكتابة .[77]

أما الجمع الذي تم في زمن الخليفة عثمان فجاء من أجل توحيد المصاحف بعد أن اختلف الأمصار في قراءة القرآن (فأرسل الخليفة إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها، فأرسلتها وأشار على زيد بصفته القائم على الجمع الأول بنسخ المصحف وكان معه كل من عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام وطلب الخليفة عثمان من القائمين على النسخ أن يرجعوا ما اختلفوا فيه للسان قريش كون القرآن أنزل بلغتهم).[78]

[77] محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق، ص 504

[78] التزام عبد الرحمن محمد، فتح الباري، ج 9، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1900، ص ص 15 16

لقد تعددت آراء المستشرقين في المصحف الذي تم بأمر عثمان ويشكك نولدكه في عمل القريشين الثلاثة، كما ذهب آخرون إلى القول بأن عمله كان لغرض سياسي يعادل الغرض الديني، وقد نتج عن هذا الجمع ترتيب غير منطقي للسور والآيات مؤكدين بأن هذا الترتيب لا يمكن أن يكون من عمل النبي، كما نتج عنه اختلاف في القراءات، وقد أنقص بعض السور التي احتواها مصحف أبي وأضاف سور لم تكن في مصحف ابن مسعود والتي يشك في كونها سور من القرآن.

إن هذه الآراء تؤكد اعتقاد هذه الفئة في كون القرآن ناقص ومحرف فالقرآن الذي بين أيدينا بترتيبه الحالي وتعدد القراءات اية والسور والآيات تم في زمن الصحابة بعد موت النبي وليس هو القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هنا وجب علينا الرد عن هذه الآراء ومناقشتها أن نقسم كل رأي على حد:

أولا: ترتيب السور والآيات

يعتقد هؤلاء المستشرقون السابق ذكرهم أن ترتيب السور والآيات المتبع في المصحف العثماني ترتيب غير منطقي لكونه لم يقام على أساس زمن النزول ولا على مضمون الآيات وقد رتبت سوره حسب طولها فأصبحت سور الفترة الأولى في نهاية المصحف والأخرى في بدايته ليصبح القرآن يقرأ بتاريخ معكوس حسب تعبير بلاشير، إن الترتيب القرآن ينقسم لترتيب سور وترتيب آيات، ترتيب الآيات وباتفاق الجمهور تم في زمن النبي ولا خلاف في ذلك فهو إذا أمر توقيفي من الله ورسوله (فعن أبي سعيد الخدري، قال، قال رسول الله من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة، من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره إلى آخر الحديث)[79] وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله "(إذا قرأتم الحمد لله فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحداها ")[80]

[79] نفس المرجع، ص 542
[80] نفس المرجع 503

إن ذكر موضع الآيات في الحديث الأول وذكر البسملة في سورة الفاتحة تدل على أن النبي

قد كنت أسمع رسول الله يقرأ بها ،فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري "من المؤمنين رجال صدقوا ما وقف على ترتيب الآيات في سورها وقد تأكد ذلك في قول زيد بن ثابت (فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد عاهدوا الله عليه " فألحقناها سورتها في المصحف،[81](وهذا دليل أيضا أن الصحابة اتبعوا النبي في ترتيب الآيات ولم يجتهدوا في ذلك ،أما ترتيب السور في المصحف ففيه اختلاف هناك من يرجع الأمر لاجتهاد الصحابة مستدلين باختلاف ترتيب مصاحفهم كالترتيب المعتمد في مصحف أبي وابن مسعود ، وهناك من أرجع النبي صلى الله عليه وسلم ،والبيهقي في الدخل يقول (بأن القرآن كان مرتبا السور والآيات على عهد النبي كما أن هناك أحاديث كثيرة تحمل الترتيب السور المعتمد في المصحف ، وهناك من جمع بين الرأيين فقال بأن الترتيب المعتمد تم في زمن النبي وهو توقيفي إلا التوبة والأنفال فقد تم ترتيبها باجتهاد الصحابة ودليل ذلك[82] (أن عثمان أمر أن يتتبعوا الطوال فجعلت سورة الأنفال وسورة التوبة في السبع ولم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم " وقد أشار أصحاب هذا القول بأن هذا الحديث يؤكد بأن ترتيب هاتين السورتين تم باجتهاد الصحابة أما باقي الترتيب فهو توقيفي يرجع لرسول الله ، وهذا القول يؤكد رأى المستشرقين الخاطئ في الموضوع ، ويبرهن لهم أن هذا الترتيب لم يكن من عمل الصحابة وإنما ترتيبا توقيفيا تم بأمر من الله ورسوله.

إن الترتيب المتبع في المصحف لم يكن على حسب زمن نزول السور والآيات ولا حسب مواضيعها وهذا ما يؤكد مصدره الإلهي فهو ليس كتاب تاريخ حتى يرتب بتسلسل زمني،و تسلسل الأحداث.

ومن ثم فإن الصحابة قد عملوا بما جاء به النبي ولم يغيروا شيء منه فلا يمكننا القول بأن الصحابة قد اجتهدوا في ترتيب المصحف فعن (ابن الزبير قال، قلت لعثمان "والذين يتقون منكم ويذرون أزواجا" قد نسختها الآية

[81] التزام عبدالرحمن محمد، فتح الباري، دار إحياء التراث العربي، ط2، ص 17
[82] ملك ببن يوسف بوعمرة سونة، قبسات من علوم القرآن، دار الإمام مالك، البليدة الجزائر، ط:2، س: 2019، ص 50

الأخرى فلم كتبتها ولم تدعها ؟ قال ابن أخي، لا أغير شيئا منه من مكانه[83] (وهذا دليل على تحفظ الصحابة واحترامهم لكتاب الله وسنة نبيه، واتباع أمر الله ورسوله في كل صغيرة وكبيرة تخص الدين.

[83] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 94

ثانيا: القراءات القرآنية

يرجع كل من ماسيه وجفري وتسهير اختلاف القراءات إلى طبيعة الخط العربي المعتمد في تدوين المصحف العثماني ، فخلوا هذا المصحف من النقاط والحركات جعل من بعض القراء يقبلون على إضافة النقاط والحركات للنصوص بما يتوافق مع ما كان معتمداً في تلك الأمصار من مصاحف وقد انتجت تلك الإضافات اختلاف في الألفاظ والمعاني كما انتج اختلاف المعاني اختلاف في التفسير التي تصل إلى حد التناقض في بعض الأحيان ، إلا أن حقيقة هذا الاختلاف لا تعود لطبيعة الخط ولا للمصاحف المختلفة ،فحقيقة هذا الاختلاف تعود بجذورها لزمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان يقرأ على أصحابه القرآن بأوجه مختلفة (فعن موسى بن يزيد الكندي قال ،كان ابن مسعود يُقرأ القرآن رجلا فقرأ الرجل "إنما الصدقات للفقراء والمساكين "مرسلة، فقال ابن مسعود :ما هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال :كيف أقرأها يا أبا عبد الرحمن ؟ قال: أقرأنيها "إنما الصدقات للفقراء والمساكين " فمدها)[84] فأخذا بذلك الصحابة تلك القراءات وعلموها غيرهم ومن ثم تواترت تلك القراءات بين المسلمين عبر زمن .

وقد جاءت هذه القراءات بغية التخفيف والتيسير عن المؤمنين بعدما انتشر الإسلام وكثر الوافدين إليه، فقد راجع النبي محمد صلى الله عليه وسلم جبريل بعد أن أقرأه على حرف أن يستزيد حتى وصل إلى سبعة أحرف (فعن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضي الله عنهما حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) [85]

[84] محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق، 505

[85] ، التزام عبد الرحمن محمد، فتح الباري، مرجع سابق، 505، ص19

ومن هنا فأسباب تعدد واختلاف القراءات يعود للنبي (ص) فهي وحي الله، فالقرآن منزل من الله (بسبع حروف كلها شافٍ كافٍ) [86]مثلما أوضح حديث أنس.

إن هذه القراءات تختلف فيها الألفاظ وتتعدد فيها المعاني إلا أنها ليست متناقضة مثل ما يدعي بعض المستشرقون فهي مثل ما يقول عبد الله ابن مسعود:(إنما هو كقول أحدكم أقبل وهلم وتعال).[87]

وقد جاءت هذه القراءات لحكمة بالغة وتعدد المعاني ينتج عنه تعدد في التفاسير التي توضح مسألة فقهية معينة فتكون بذلك التفاسير خادمة لبعضها وليست متناقضة فنجد في قراءتين بيان لحكم شرعي مثلا بالآية في قوله تعالى "وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس " فقد قرأ "وله أخ أو أخت من أم " في قراءة أخرى فتبين من خلالهما أن المراد هو الأخوة من الأم وليس الأشقاء والأخوة من الأب، وهناك قراءة توضح لفظا مبهما في القراءة الأخرى مثل قراءة قوله تعالى "وتكون الجبال كالعهن "فقد قُرأت "كالصوف "، وأمثلة ذلك كثيرة. [88]

ويعود سبب اختلاف الأمصار للقراءات تعدد لهجاتهم فقام عثمان بتوحيد المصاحف من أجل توحيد تلك الأمصار على القراءة التي عهد بها النبي صلى الله عليه وسلم.ومن هنا نوضح بأن اختلاف القراءات لم يكن بسبب اختلاف المصاحف ولا بسبب الخط العربي المعتمد في تدوين المصحف العثماني.

ثالثا: الزيادة والنقصان في المصحف العثماني

يشير نولدكه في كتابه إلى إحتواء مصحف عثمان على سور لم تكن متضمنة في مصحف ابن مسعود هم سورة الفلق والناس كما أنه ينقص سورتين كانتا في مصحف أبي هما سورة الحفد وسورة القنوت، كما نجد هذا الأخير

[86] محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق، ص 505

[87] ابي العباس احمد بن عمار بن أبي العباس المهدي القارئ، بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، دار ابن حزم بيروت ط1 ،2006، ص:68.

[88]3 مالك بن يوسف بوعمرة سونة، قبسات من علوم القرآن، دار الإمام مالك، البليدة. الجزائر، ط:2، 2019، ص: 118.

يقول بأن الفاتحة لا تنتمي للقرآن وأنها أضيفت له فيما بعد مشيرا إلى أنها تشبه الصلوات اليهودية، ويوضح بأن السورتين في مصحف أبي لا يمكن اعتبارهما سور فهي لا تبدأ بصيغة "قل" التي كان يعتمدها النبي في بعض سور القرآن حسب رأيه.

إن سورة الحفد وسورة الخلع التي ثبتت في مصحف أبي كما نجد آية «لو كان لابن آدم واديين ...." وغيرها كثير إنما هي اختلافات وجدت في مصاحف الصحابة والتابعين، فهناك ما صح إسناده وهناك من لم يصح إسناده. فربما تكون من الحروف المنسوخة وقد رفعت إلا أن أصحاب المصاحف اعتقد قرانيتها كونهم لم يشهدوا العرضة الأخيرة للقرآن [89]ودليل ذلك حديث أبي موسى الأشعري، قال (نزلت سورة فرفعت، وبقيت منها "لو أن لابن ادم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثا ...)[90]

أما سورة الفلق والناس فلا يمكن نفي قرآنيتها، فهما سورتين من القرآن أنزلت كليهما على النبي وثبت عنه ودليل ذلك حديث ابن العائش الجهني، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (يا ابن عابس ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: "قل أعوذ برب الفلق "و "قل أعوذ برب الناس " هاتين السورتين) [91]وقوله صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر (ألا أعلمك سورا ما أنزلت في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلهن، لا يأتين عليك ليلة إلا قرأتهن فيها "قل هو الله أحد "و" قل أعوذ برب الفلق "و "قل أعوذ برب الناس .) [92]

أما سورة الفاتحة والتي يقول عنها بأنها ليست من القرآن لأنها تشبه الصلوات اليهودية فهذا ليس دليل كافي لإثبات أنها ليست من القرآن كان ناتج عن جهلهم لحقيقة العقيدة الإسلامية أم أن من وراءه حكمة، إلا أنه لا

[89] أبي العباس أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي، بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، مرجع سابق، ص:21
[90] محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق، ص: 544.
[91] نفس المرجع، ص: 546.
[92] محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مرجع سابق، ص: 547.

يجابه الحقيقة في الفاتحة هي من أعظم سور القرآن فعن أنس قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم في سيره فنزل، ونزل رجل إلى جانبه، قال: فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال " ألا أخبرك بأفضل القرآن؟ فتلا عليه: «الحمد لله رب العالمين ".) [93]فكيف يمكن أنها أضيفت للقرآن فيما بعد وبأي حجة، خاصة وأنها ركن أساسي في فريضة الصلاة فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه لهذه السورة وهو القائل (لا صلاة لمن لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب[94] (وهذا القول يثبت انتماء هذه السورة للقرآن ، كما يثبت أنها وضعت في بداية القرآن فكانت أول سورة من طرف النبي ، فمعنى فاتحة الكتاب يوحي بأنها في بدايتة وأول ما يبتدئ به كما تدل على وجود كتاب يضمها وبالتالي هذا إثبات وتأكيد تدوين القرآن وجمعه في زمن النبي ، وهذا القول يدحض رأي نولدكه الذي يوضح فيه بأن سورة الفاتحة وضعت من طرف شخص رأى أنه من الجيد أن يبتدأ بآيات شكر وينهي بآيات حفظ.

وبالعودة الى مراحل جمع القرآن وتدوينه، والتي يراها المستشرقون دليلا واضحاً على أن القرآن لم يُدون في زمن النبي ويستشهدون بها ليثبتوا تعرض القرآن للنقص، فإنها في الحقيقة لا تؤكد فكرة عدم تدوين النبي للقرآن بقدر ما تثبت حرص المؤمنون على حفظ كتاب الله وتمسكهم به وبالتالي ومع كل عنايتهم به وحرصهم عليه لا يمكن القول بأنهم قد غيروا في كتاب الله وحرصهم هذا دليل على عنايتهم به كما هو وليس دليل على رغبتهم في تغييره والروايات الإسلامية تثبت ذلك.

---

93 نفس المرجع، ص:508.

94 محمد ناصر الدين الألباني، صفة صلاة النبي، مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 1996، ص:97.

المبحث الثالث: نقد المنهج الاستشراقي في دراسة القرآن :

النصوص القرآنية نصوص مقدسة في العالم الإسلامي إلا أن هذا التقديس ينتهي بانتهاء الحدود الإسلامية فنظرة الغربي تختلف عن نظرة المسلم للقرآن ومنهجه في دراسته يختلف أيضا.

ان(المنهج هو نظرة المفسر للقرآن وصلته به، والزاوية التي يتعامل معه من خلالها والكيفية التي يخرج بها علومه ومعارفه) [95]

فإذا كان المسلم قد توجه لتفسير الألفاظ والمعاني فسر القرآن بالقرآن والقرآن بالحديث واعتمد على أسباب النزول فإن المستشرق قد اهتم بالسياق الزماني والمكاني المحيط بالنص ولذلك فإن تحليل المستشرق ونقده للنصوص القرآنية في الحقيقة تحليل ونقد للظروف التي أنشئ عليها النص وليس النص في ذاته وهذا ناتج من كونه ينظر للنصوص القرآنية على أنها نصوص تاريخية تحمل حقائق وقائع ماضية.

وهذا ما يعاب عليهم لان دراسة النص وإن كان لابد من الإحاطة بالأسباب الخارجية لكونها تساعد على الفهم إلا أن دراستها تتطلب تحليل لمعانيها ،و ألفاظها، لان ما أنتجته الطريقة الأولى أي تحليل السياق التاريخي للنص كانت آراء بعيدة عن الحقائق الموجودة في النص، فإذا كان النص يوضح بأنه من الله فإن الاهتمام بالجانب التاريخي لنشوءه يؤكد غير ذلك.

إن طرق المستشرقين في دراسة القرآن الكريم لا تعطي أهمية لمعاني الألفاظ والآيات بقدر ما تعطي أهمية للأسلوب كونه يفصح عن الفترة التي نشأت فيها مجموعة معينة من السور حسب رأيهم ، أسلوب السور المكية مثلا مختلف عن الأسلوب المدني كما نجد أنهم يهتمون ببعض الألفاظ والتصورات بغية المقارنة بينها وبين ماهو موجود في الكتب الأخرى وبالتالي ردها إليها، فالقرآن له مصادر حسب رأيهم أيضا، أما التعامل المباشر مع السور

[95] صلاح عبدالفتاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار عمار، عمان، ط 2، س: 2000، صفحة 194

القرآنية فإننا لا نجده إلا في حالات الترجمة حيث نجد المترجمين لهم عناية خاصة بمعاني الألفاظ ولعل هذا هو السبب الذي جعل دراسات مجموعة من المترجمين تتصف بنوع من الموضوعية مثل المستشرق "جورج سيل ".

إن الطريقة التي انتهجتها هذه الفئة لا تعطي أية صُورة وأضِحة حول تلك النصوص، فكل ما ينتج عنها هو انعكاس لرغبة الباحث،إن التوجه لربط القرآن ،مع السياق الزماني والمكاني والسياق السببي لا يكشف عن حقائقه بقدر ما يكشف عن أهدافهم بربط سياقاته، كما أن محاولة تجريد النصوص من صاحبها له أهداف بالتالي فإن هذه الدراسات لا توصلنا لحقائق تلك النصوص ومعانيها بقدر ما تأخذنا لإكتشاف آراء الباحث حولها وهذا ما تؤكده النتائج والآراء المتعددة لمجموعة من الباحثين في مسألة واحدة فكل باحث يرى الموضوع بطريقة معينة ، وهذا ماهو حاصل مع المستشرقون الذين اهتموا بالجانب التاريخي للنصوص القرآن وأسباب تكونها خاصتا كون الكثير من الآيات القرآنية نزلت بدون سبب، فكيف يمكن أن نصنف هذه الآيات حسب تاريخها .

الخاتمة

وفي الأخير ومن خلال ما سبق ذكره استخلصنا مجموعة من النقاط كان أهمها أن حركة الاستشراق وعلاقتها بالمدونة ورغم أن البدايات الأولى هتمامهم بدراسة القرآن كانت مبنية على احتكاك مباشر مع النصوص، إلا أن الباحثين فيما بعد اقتصرت دراستهم على العوامل المحيطة بالنص أكثر من الاهتمام به، وهذا ما أنتج مجموعة من الآراء حول مراحل الجمع والتدوين ،والتي حاول من خلالها المستشرقون إثبات تحريف القرآن، فتعرضوا لمسألة الترتيب والقراءات القرآنية وغيرها، وقد أخضع هؤلاء القرآن للنقد التاريخي كباقي النصوص الأخرى، فالقرآن ما هو إلا مجموعة نصوص تاريخية .

ونجد قولهم بأن النصوص القرآنية نصوص تاريخية يتأكد في مجموعة الأراء التي جاءت بها هذه الفئة من المستشرقين المتمثلة في نفيهم للنبوة والوحي ونفى المصدر الإلهي للقرآن وفي عملهم على إعادة ترتيب المصحف حسب التسلسل التاريخي، كل هذا يثبت نظرتهم للقرآن.

كما نجد أن قولهم هذا جعل من نصوص القرآن محدودة الزمان والمكان ، أي أنها نصوص لوقائع ماضية إنتهت بإنتهاء زمانها ،إلا أننا إذا عرضنا هذه الآراء وحاولنا الرد عليها من خلال آيات قرآنية سنكشف العكس فإذا كانت هذه الأراء نشأت في وقت لاحق أي في زمن بعيد عن الزمن الذي أنزل فيه القرآن ورغم ذلك سنجد أن القرآن قد أشار إليها ووضحها فنجد مثلا الكثير من الآيات التي تثبت الوحي وأخرى تؤكد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وآيات تثبت عدم الاختلاف وغيرها من الآراء التي جاءت بها هاته الفئة من المستشرقين، فإن هذا دليل على أن القرآن بقواعده

مستمر وصالح في كل وقت، وبتعبير آخر أكثر دقة، سنقول بأن استمرار مثل هذه الآراء التي تعمل على إثبات مصدر القرآن البشري وتنفي الوحي وتجعل من النبي شاعر مجنون أو كاهن أو مؤلف أعتمد على غيره في تأليفه ، وغيرها من آراء ، سيجعل من الآيات التي أُنزِلت من الله عز وجل على أصحاب هذه الادعاءات في زمن النبي مستمر أيضا ،وبذلك تكون تلك الآيات قاعدة ثابتة تصلح لكل الحالات المشابهة للحالة الأولى وبالتالي ومن خلال هذا المثال نستنتج أن القرآن الكريم لا يحده زمان ولا مكان ، كما نستنتج المصدر الذي اعتمدته هذه الفئة في نقدهم للنبي وللقرآن أيضا فهذه الآراء لم تكن وليدة تحليلهم للقرآن والوقائع التاريخية المحيطة به بقدر ماكانت مجموعة أفكار استقاها هؤلاء من الروايات الإسلامية وكتب المسلمين فأخذو منها مايخدم رأيهم وشككوا في صحة الباقي ، ليتحول اهتمام الكثير منهم بالسيرة والسنة من أجل نفس الهدف أي إثبات عدم صحتها هي الأخرى ، فتتأكد دوافعهم وأهدافهم من خلال هذا أيضا فرغبة المستشرق الدارس لعلوم الشرق لاتختلف عن رغبة رجال الدين والكنيسة ، فهدف هذه الفئة منهم ليس الرغبة في اكتشاف الغير بقدر ماهي الرغبة في نقده ، لكن هذا لايعني أنه لا لا وجود لدراسات موضوعية للإسلام والقرآن فهناك الكثير منهم درس الإسلام وأشاد به وقد عمل البعض على نقد دراسات غيره من المستشرقين الناقدين .

إن مثل هذه الآراء بقيت متوارثة عند الكثير منهم وحتى بعد تراجع دور الاستشراق القديم إلا أن أهدافه مازالت موجودة لكن بأشكال مختلفة، فمازال الدارس الغربي إلى اليوم يبحث في القرآن والإسلام وقد أثرت هذه الدراسات في الكثير من الباحثين في العالم الإسلامي

الذين هم بدورهم أخضعوا القرآن للنقد والتحليل بعد إرجاعه لزمن تدوينه وجمعه، وبجانب هذه الفئة المتأثرة بغيرها وجدت مجموعة من الباحثين الغربيين درسوا القرآن من أجل أهداف علمية فقط ،فأنتجت دراساتهم مجموعة من الآراء تنفي ما سبقها من آراء شوهت حقائق القرآن والإسلام ، وقد تعامل هؤلاء الباحثين مع النصوص القرآنية بدون ربطها مع سياقاتها ، فدراستهم اقتصرت على تفسير وتحليل النصوص ومن بين هؤلاء الباحثين نجد جاري ميلر وجاري ويلز الذي أوضح معاني أيات الجهاد أو السيف مثل ما يقال وغيرها ،ورغم أن دراستهم تخالف ما جاء به الإسلام في بعض الأحيان إلا أن دراستهم تتصف بالموضوعية كون المنطلق فيها مرتبط بالجانب العلمي لا يهدف لتشكيك بقدر ما يهدف للوصول للحقائق .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر

1. اجنتس جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، تر: عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، 1955

2. بلاشير، القرآن، ترجمة رضا سعاد، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الاولى ،1974

3. تيودور نولدكة، تاريخ القرآن ترجمة جورج تامر، دار نشر جورج المز زوريخ، نيويورك، الطبعة الأولى، السنة 2004.

4. الحافظ ابي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب المصاحف، صححه آرثر جفري المطبعة الرحمانية بمصر، الطبعة الأولى، 1936

5. رودي باريت، محمد والقرآن، ترجمة رضوان السيد، شرق غرب للنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2009.

6. كانون سيل، تطور القرآن بالتاريخي، ترجمة مالك سلمانيWWW.RASOULALLAH.NET

7. هنري ماسه، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت – باريس، الطبعة الثالثة ،1988

قائمة المراجع:

1. ابن إسحاق، السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، س:2018

2. ابي العباس احمد بن عمار بن أبي العباس المهدي المقري، بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، دار ابن حزم بيروت ط،1 ،2006.

3. ادوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة: محمد عناني، دار النشر: رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1، سنة:2006.

4. إسماعيل بن عمرو المقرئ عن عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرئ بإسناد إلى ابن عباس، اللغات في القرآن حققه صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1946

5. جاري ميللر، القرآن المعجز، Www. Rasoulallah. Net

6. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015.

7. رجب عبد الجواد إبراهيم، معجم المصطلحات الإسلامية، دار الآفاق العربي القاهرة، الطبعة الأولى، 2002

8. رضا محمد الدقيقي، الوحي لمحمد، إدارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر، الطبعة الأولى، 2009

9. رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الالمانية، تر: مصطفى ماهر، مركز القومي للترجمة، دط، س:2011

10. صلاح عبدالفتاح الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار عمار، عمان، ط 2، س: 2000.

11. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 3، س:1993

12. مالك بن يوسف بوعمرة سونة، قبسات من علوم القرآن، دار الإمام مالك، البليدة. الجزائر، ط:2، س: 2019.

13. محمد عمارة، قراء النص الديني، مكتبة الشروق الدولية، ط:1، 2006

14. محمد ناصر الدين الألباني، صفة صلاة النبي، مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 1996.

15. يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة عمر لطفي العالم، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، ط:2، 2001.

ملخص الدراسة:

في الوقت الذي توجه فيه ثلة من الباحثين في العالم الإسلامي لدراسة القرآن الكريم، كمجموعة نصوص قابلة للنقد التاريخي، وجب الكشف عن الجذور الأولى التي أنشأت مثل هذا النوع من الدراسات على كتاب يحاط التقديس والتبجيل من طرف المؤمنين به.

ولذلك فإننا في هذا البحث الموجز نركز على فئة المستشرقون الذين اعتنوا بدراسة هذا الموضوع، لنوضح كيف أخضعوا القرآن الكريم للنقد، انطلاقا من تحليل مراحل جمعه وتدوينه، وتوضح بذلك الأسباب التي جعلتهم ينفون الصبغة الإلهية عن القرآن ليتحول الى نصوص تاريخية مؤلفة تعرضت للتحريف.

فما كان علينا نحن زمرة المؤمنين به إلى بسط هذه الأفكار ومناقشتها لنصل لحقيقتها ومن ثم نصل لسلامة القرآن من التحريف وإثبات مصدره الإلهي.

الكلمات المفتاحية: مستشرق، وحي، قرآن، تدوين، جمع، زيادة، نقصان، اختلاف، تحريف.

Study summary :

At a time when a group of researchers in the Islamic world went to study the Noble Qur’an, as a group of texts capable of historical criticism, the first roots that established this type of study must be revealed on a book surrounded by reverence and veneration by the believers in it.

Therefore, in this brief research, we focus on the category of orientalists who took care of studying this subject, to clarify how they subjected the Holy Qur’an to criticism, based on the analysis of the stages of its collection and codification, and the reasons that made them deny the divine nature of the Qur’an to turn into synthesized historical texts that have been distorted.

We, the group of believers in it, had nothing but to simplify these ideas and discuss them in order to reach their truth, and then reach the safety of the Qur’an from distortion and prove its divine source.

Keywords : Orientalist, revelation, Quran, notation, plural, increase, decrease, difference, distortion.

الفهرس

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
الاهداء	II
شكر وعرفان	III
المقدمة	أ
الفصل الأول: المستشرقون والقرآن	
المبحث الأول: الاستشراق والمستشرقين	05
المبحث الثاني: علاقة المستشرقون بالمدونة	09
المبحث الثالث: الوحي من المنظور الاستشراقي	12
المبحث الرابع: مراحل الجمع والتدوين	17
الفصل الثاني: دلائل المستشرقون في تحريف القرآن	
المبحث الأول: الزيادة والنقصان في المصحف العثماني	23
المبحث الثاني: الترتيب في المصحف العثماني	25
المبحث الثالث: القراءت القراءنية	28
الفصل الثالث: أراء المستشرقون مناقشات وردود	
المبحث الأول: الوحي كلام الله	33
المبحث الثاني: القرآن كلام المحفوظ	39
المبحث الثالث: نقد المنهج الاستشراقي في دراسة القرآن	48
خاتمة	51
قائمة المصادر والمراجع	55
الفهرس	57